المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر رمضان سنة ١٣٢٥ — آخره الاثنين ٦ نوفبر (ت ١) سنة ١٩٠٧)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى مامثاله مع شيء من التفصيل : اذا كان كل فرد من أفراد المسلمين مكلفا بالدعوة الى الخير و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقتضى الوجه الأول في تفسير الآية فهم مكلفون بمقتضى هذا الوجه الثاني أن يختاروا أمة منهم تقوم بهذا العمل لا جل أن تتقنه وتقدر على تنفيذه ان لم يوجد ذلك بطبعه كما كان في زمن الصحابة فاقامة هذه الامة الخاصة فرض عين يجب على كل مكلف ان يشترك فيه مع الآخرين ولا مشقة في هذا علينا فانه يتيسر لأهل كل قرية ان يجتمعوا و يختاروا منهم من يرونه أهلا لهذا العمل ـ وعبارة الاستاذ : ويختاروا واحدا منهم او أكثر : كأنه يريد بالواحد ان ينضم الى من يختار من سائر القرى والبلاد لأجل الضرب في الارض للدعوة الى الاسلام في غير بلاده أو لاقامة بعض الفرائض والشعائر أو إزالة بعض المنكرات من بلد آخر من بلاد المسلمين ـ والا فالواجب على أهل القرية ان يختاروا جماعة يصح ان يطلق

عليهم لفظ الامة ويعملوا ماتسمله بالاتحاد والقوة ليتولوا اقامة هذه الفريضة فيهم كما يجب ذلك في كل مجتمع اسلامي سواء كان في الحواضر والبوادي . فان معنى الامة يدخل فيه معنى الارتباط والوحدة التي تجعل أفرادها على اختلاف وظائفهم وأعمالهم حتى في اقامة هذه الفريضة عند تشعب الأعمال فيها كأنهم شخص واحد كما هو ظاهر وصرح به الاستاذ في هذا المقام

قال وهذه الامة يدخل في عملها الامور العامة التي هي من شأن الحكام وأمور العلم وطرق افادته ونشره وتقرير الاحكام وأمور العامة الشخصية ويشترط فيها العلم بذلك ولذلك جعلت أمة وفي معنى الامة القوة والاتحاد وهذه الامور لاتتم الا بالقوة والاتحاد فالامة المتحدة لاتقهر ولا تغلب من الافراد ولا تعتذر بالضعف يوما ما فتترك ماعهد اليها وهو ما لو ترك لتسرب الفساد الى مجموع المسلمين . وقد كان المسلمون في الصدر الاول لاسيما على عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على هذه الطريقة فقد كانت خاصة الصحابة الذين عاشروا النبي صلى الله عليه وسلم وتلقوا عنه متواصلين متكاتفين ينشر كل منهم في عصره الى آخر من الحاجة الى نشر الاسلام وحفظه ومقاومة كل ما يمس شيئاً من عقائده وآدابه وأحكامه ومصالح أهله وكان سائر المسلمين تبعا لهم . ولا نتكلم هنا فيما طرأ على الاسلام فأزال تلك الوحدة ولكننا نذكر مايجب أن تكون عليه الامة الداعية الى الخير الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر أي القائمة بالواجبات التي هي قوام الوحدة وحفاظها فان أعمالها لاتتم الا بأمور كثيرة: أقول وذكر أمورا مجملة على سبيل المثال نفصلها ونزيد عليها فنقول

(١) العلم التام بما يدعون اليه – ذكر الاستاذ ذلك ولم يبينه هنا وقال في موضع آخر ان أول مايجب على هؤلاء الدعاة العلم بالقرآن والعلم بالسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وسلف الأمة الصالح وبالقدر الكافي من الأحكام : فهذا شيء من البيان وهو في نفسه يحتاج الى بيان وتفصيل أهمه ان العلم بالقرآن إنما ينظر فيه قبل كل شيء الى كونه هدى وعبرة وموعظة على نحو تفسيرنا هذا وكذلك السنة وماصح من أقوال الرسول وسيرته ويلاحظ في هذا أيضاً الى الفرق بين ما تواتر عملا وما صح سندا وما ليس كذلك

(٢) العلم بحال من توجه اليهم الدعوة في شوءونهم واستعدادهم وطبائع بلادهم وأخلاقهم أو ما يعبرعنه في عرف العصر بحالهم الاجتماعية وقد روي ان من أسباب ارتضاء الصحابة بخلافة أبي بكر كونه أنسب العرب وليس معنى كونه أعلم بالانساب انه كان عنده كتاب « بحر الانساب » يراجع فيه وإنما معناه انه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب و بطونها وتاريخ كل قبيلة وسابق أيامها وأخلاقها كالشجاعة والجبن والامانة والخيانة ومكانها من الضعف والقوة والغنى والفقر وما كان إقدامه — مع لينه وسهولة خلقه التي يعرفها له كل أحد حتى الافرنج — على حرب أهل الردة الا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة فلم يهب ولم يخف وقد خاف عمر وأحجم على شدته المعروفة على الكافرين والمنافقين أي خاف أن تضعف بمحاربتهم شوكة الاسلام ... حتى قال أبو بكر والله لو منعوني عقالا مما كانوا يوءدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فهذه قوة العلم لا قوة الجهل والعلم الخاص بحال من توجه اليهم الدعوة من هذه الوجوه لا بد أن يكون فرعاً للعلم بهذه العلوم في نفسها

(٣) مناشي. علم التاريخ العام ليعرفوا الفساد في العقائد والاخلاق والعادات فيبنون الدعوة على أصل صحيح ويعرفون كيف تنهض الحجة ويبلغ الكلام غايته من التأثير وكيف يمكن نقل هوءلاء المدعوين من حال الى حال. ولهذا كان القرآن مملوءا بعبر التاريخ

(٤) علم تقويم البلدان ليعد الدعاة لكل بلاد منها عدتها اذا أرادوا السفر اليها وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلدان و بالجغرافية ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الامم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع المياه وما يصلح موقعاً للقتال فيها لهلكوا وكان الجهل أول أسباب هلاكهم. ومن قرأ ماحفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ومحاوراتهم في تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجل بيان

قال الاستاذ الامام ما مثاله ومن الناس من يفرمن التاريخ وتقويم البلدان

الذي هو فرع من فروعه وما أضر هؤلاء الا بأنفسهم وأمتهم !! فقد قطعوا الصلة بينهم وبين القدوة الصالحة من سلفهم حتى صار أكثر المسلمين لا يعرفون مبدأ الاسلام ولا كيفية نشأته ولا كيف انتسبوا اليه فالتاريخ يعرف الانسان بنفسه من حيث هو متدين ان كان له دين أو من حيث هو إنسان إن كان من بني الانسان وما أضر بالفقه شيء كالجهل بالتاريخ لأننا لو حفظنا تاريخ الناس ومنه عاداتهم وعرفهم ومصالحهم في البلاد التي كان فيها المجتهدون الواضعون لهذا الفقه لكنا نعرف من أسباب خلافهم ومدارك أقوالهم ما لا نعرفه اليوم فما كان ذلك الخلاف جزافا ولا عبثا ألم تر أن الشافعي وضع بعد مجيئه الى مصر مذهبا جديداً غير المذهب القديم الذي كان عليه أيام لم يكن خبيرا بغير الحجاز والعراق . وكذلك كان ما خالف به أبو يوسف أستاذه أبا حنيفة مما يرجع الكثير منه الى ما اختبره من حال الناس في مصالحهم ومنافعهم وعرفهم فبالله كيف ينتسب امرؤ الى إمام ويشتغل بعلم مذهبه وهو لا يعرف تاريخه وتاريخ عصره !! وجملة القول ان الجاهل بالتاريخ لا يصلح أن يكون فردا من الأمة الداعية الى الاسلام الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر في الامور العامة على الوجه الذي يرجى قبوله

(٥) علم النفس وهو يساوي علم التاريخ في المكانة والفائدة أي العلم الباحث عن قوى النفس وتصرفها في علومها وتأثير علومها في أعمالها الارادية . مثال ذلك أن الاصل أن يكون العمل تابعا للعلم ولكن كثيرا من الناس يعتقدون أن عمل كذا ضارّ ويأتونه وعمل كذا نافع ويتركونه (والمحرم شرعاً كله ضار والحلال كله نافع) فما هو السبب في ذلك وهل يحسن دعوة هؤلاء الى الخير وإقناعهم بترك الشر من لا يعرف لماذا تركوا الخير واقترفوا الشر ؟ فهذه المعرفة من علم النفس الذي يؤخذ منه ان من العلم ما يكون صفة للنفس حاكمة على ارادتها مصرفة لها في أعمالها ومنه ما هو صورة تعرض للذهن لا أثر لها في الارادة فلا تبعث على العمل وانما يكون مظهره القول احيانا . وقد كان الصحابة عليهم الرضوان على حظ عظيم من هذا العلم فانهم كانوا بسلامة فطرتهم وذكاء قريحتهم وعاهدام القرآن بآياته والرسول ببيانه وسيرته على بصيرة من هذا العلم وان لم يتدارسوه بطريقة صناعية

فقد كان علمهم به كعلم الراسخين له من الحكماء أو أرسخ كما يدل عليه ما يؤثر عنهم من الحكم وما نجحوا به في الدعوة ، وظهروا به في مواطن الحجة ، وعبارة الاستاذ الامام في هذه المسألة : ولا تظنوا أن الصحابة لم يكن عندهم شيء من هذا العلم اذ لم يكونوا يدرسونه في الكتب ويتلقونه عن المعلمين فانكم اذا قرأتم التاريخ وعرفتم كيف كانوا يتجالدون في الحروب ، و (يتجادلون) في مواقف الخطب ، بمجرد الفطرة التي بعدنا عنها أمكنكم أن تعرفوا مكانهم منه . نعم ان الانسان في كل زمن يحتاج الى نوع من طرق التعلم غير ما كان في الزمن الذي قبله فالحقيقة الواحدة قد تختلف طرق العلم بها باختلاف الزمان والمكان والاحوال

(٦) علم الاخلاق وهو العلم الذي يبحث فيه الفضائل وكيفية تربية المرء عليها وعن الرذائل وطرق توقيه منها وهو ضروري وما ورد فيه من الآيات والاحاديث وآثار الصحابة والتابعين يغني بشهرته واستفاضته عن إطالة الكلام فيه . وقد خطر ببالي الآن كلمة عمر رضي الله عنه في الحياة الزوجية فأحببت أن أوردها وهي قوله للمرأة التي صرحت لزوجها بأنها لا تحبه اذا كانت احداكن لاتحب الرجل منا فلا تخبره بذلك فان أقل البيوت ما يبنى على المحبة وإنما الناس يتعاشرون بالحسب والاسلام : فهذه الكلمة الجليلة لاتخرج بالبداهة هكذا الا من فم حكيم قد انطوى في نفسه علم الأخلاق وعلم الاجتماع أيضاً ووقف مع ذلك على أحوال الناس واختبرهم أتم الاختبار

(٧) علم الاجتماع ولم يذكره الاستاذ الامام تفصيلا ولا اجمالا ولعل سبب ذلك عدم وجود كتب فيه بالعربية رغب طلاب الأزهر فيها الا في مقدمة ابن خلدون وهو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الأمم في بداوتها وحضارتها وأسباب ضعفها وقوتها وتدليها وترقيها على أن هذا العلم مستمد من علم التاريخ وعلم الاخلاق فمن كان له حظ عظيم منهما فانه قد يستغني به عن هذا العلم في بناء الدعوة والارشاد ، على قواعد الحكمة والسداد ، وان كانت دراسته مزيد كمال فيه وفي فوائده العظيمة وقد ذكرته للترغيب فيه وحث أهل الاستعداد منا على التصنيف فيه والاستعانة بما صنفه الغربيون على ذلك ليتمكن كل مريد له من

تناوله اذ ليس كل مطلع على التاريخ وعلم الاخلاق أهلا لاستنباط قواعد علم الاجتماع منهما وانما يكون ذلك الاقلين من العقلاء وهم لا يستغنون عن الوقوف على مااهتدى اليه من كتبوا في ذلك من قبلهم . وقد جاء في القرآن كثير من قواعد هذا العلم فغفل أكثر المفسرين عنه ولم يهتد الى فقه بعضه الا قليل منهم اذ لم يكن هذا العلم مدوناً في عهدهم فينبههم الى ذلك . وقد تقدم في تفسيرنا هذا بيان كثير من تلك القواعد وسنعقد له فصلا حافلا في مقدمة التفسير التي نبين فيها فقه القرآن في جمله ان شاء الله تعالى

(٨) علم السياسة وقد ذكره الاستاذ الامام هنا مجملا وليس مراده به السياسة الشرعية التي كتب فيها ابن تيمية وغيره وان كانت مما لا يستغنى عنها ولكنها داخلة في علم الكتاب والسنة والاحكام وإنما المراد به العلم بحال دول العصر وما بينها من الحقوق والمعاهدات ومالها من طرق الاستعمار . فالأمة التي تؤلف الدعوة في بلاد غير بلاد المسلمين المستقلة لا يتيسر لها ذلك اذا لم تكن عارفة بسياسة حكومة تلك البلاد . وهذا نوع غير ما تقدم من اشتراط معرفة حال من توجه اليهم الدعوة . والسياسة بهذا المعنى لم تكن في عصر الصحابة

(٩) العلم بلغات الأمم التي تراد دعوتها وقد ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بعض الصحابة بتعلم اللغة العبرانية لأجل اليهود الذين كانوا مجاورين له على أنهم كانوا قد استعربوا . فما كانت معرفة لغتهم الاصلية الا مزيد كمال في الفهم عنهم ومعرفة حقيقة شأنهم . ولا يقال ان الأمة التي تؤلف الدعوة الى الاسلام يمكنها أن تستغني عن تعلم لغات الأمم بالمترجمين من غير المسلمين فانها ان ظفرت بالمترجم الاجنبي الأمين لا يتيسر لها أن تفهم من حقيقة الدين عند الترجمة ما يفهمه العالم المسلم وإنما يلجأ الى مثل ذلك عند الضرورة أما اذا أمكن تأليف جمعية الدعوة فالواجب أن يكون فيها من المسلمين العارفين باللغات من يكفيها الحاجة الى ترجمة الاجنبي كما تفعل جمعيات الدعوة الى النصرانية فان افرادا منها يتعلمون لغات جميع الأمم . ولم يبين الاستاذ الامام هذا في الدرس لأنه لم يتصد الى بيان كل ما يتوقف عليه العمل في تعميمه

وكاله وانما ذكرنا ماذكره على سبيل المثال لتنبيه الأذهان ، والترغيب فيما يتيسر لأهل الأزهر في هذا الزمان ، ولوشرح في هذا المقام فوائد تعلم اللغات الاجنبية وتوقف مايجب من الدعوة الى الاسلام عليها لقام أعداء الاصلاح وخاذلوا الدين القاعدون له كل مرصد يصيحون في الجرائد والمحافل بأن الشيخ المفتي يريد أن يهدم الدين في الأزهر بحث طلابه على تعلم اللغات الاجنبية كما فعلوا مثل ذلك عند حث إيام على تعلم التاريخ وتقويم البلدان وبعض الفنون الرياضية وإنصياحهم في مسألة اللغات يكون أوضح شبهة عند الجمهور الجاهل . وليس هذا البحث بأجنبي عن التفسير بل هو أولى من مباحث الرازي في علوم اليونان وتوسع غيره في الاسرائيليات أو القروبات لأن قصدنا من التفسير بيان معنى القرآن ، وطرق الاهتداء به في هذا الزمان ، ولن نكون مهتدين به حتى تكون منا أمة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر من الطرق التي يرجى نفعها وذلك يتوقف على ماذكرناه فوجب علينا أن نبين شيئاً من بعد عنه

(١٠) العلم بالفنون والعلوم المتداولة في الأمم التي يوجه اليها الدعوة ولو بقدر ما يفهم به الدعاة ما يورد على الدين من شبهات تلك العلوم والجواب عنها بما يليق بمعارف المخاطبين بالدعوة

(١١) معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم فيها ليتيسر للدعاة بيان مافيها من الباطل فان من لم يتبين له بطلان ماهو عليه لا يلتفت الى الحق الذي عليه غيره وان دعاه اليه ، وقد كنت كتبت في سنة المنار الثالثة مقالة في الدعوة وطريقها وآدابها جعلت فيه هذا الشرط وما قبله واحدا فقلت فيه (ص ٤٨٤ م ٣)

« ثالثها – أي الشروط – الوقوف على ما عندهم من المذاهب والتقاليد الدينية ، والعلوم والفنون الدنيوية ، ما يتعلق منها بالدعوة ، ويصلح أن يكون شبهة ، ومن جهل هذا القدر كان عاجزا عن إزالة الشبهات ، وحل عقد المشكلات ، ومن فاته هذا الشرط وما قبله – وهو العلم بالأخلاق والعادات – لا يقدر أن أن يخاطب الناس على قدر العقول والاحلام ، كما كان شأن سادة الدعاة عليهم الصلاة والسلام ، ولقد علم رؤساء الديانة النصرانية ، أن ما كان من جهلهم بالعلوم

الامر) فان أمر الرئيس بالمشاورة يقتضي وجوبه عليه ولكن اذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله للامر فماذا يكون اذا هو تركه . وأما هذه الآية فانها تفرض أن يكون في الناس جماعة متحدون أقوياء يتولون الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو عام في الحكام والمحكومين ولا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم وقد ورد في الحديث «لابد أن يأطروهم على الحق أطرا»

هكذا نقل بعض الطلاب هذا الحديث عن الاستاذ الامام وفسره عنه بأن معناه يثنوهم أي الظالمين و يبيدوهم وهو كما في كنز العمال معزوا إلى أبي داود من حديث ابن مسعود «ان أول مادخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لايحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » وعنه وعند أحمد والترمذي «لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا » وقد أورد الفقرة الأخيرة من الرواية الاولى في لسان العرب بضمير المفرد وقال : قال أبو عمرو وغيره قوله « تأطروه على الحق » تعطفوه عليه : اه

أقول ومعنى الآية على هذا الوجه أنه يجب أن تكون قوة المسلمين تابعة لهذه الأمة التي تقوم بفريضة الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي بمعنى مجالس النواب في الحكومات الجمهورية والملكية المقيدة فكأن الآية بيان لكون أمر المسلمين شورى بينهم . وماذكره في معنى « وأمرهم شورى » ومعنى « وشاورهم في الامر » لعله يريد به انه يمكن أن يقال فيهما كذا والا فكل من النصين دال على وجوب كون حكومة المسلمين شورى وحجيء النص

الأول في الذكر بصيغة الخبر يؤكد كونه فرضا حتما كما عهد نظير ذلك في الأساليب البليغة ومر معنا كثير منها (راجع تفسير « يتربصن بأنفسهن ») والنص الثاني صريح في الوجوب والضامن له الأمة المخاطبة بالتكاليف في أكثر النصوص . وأما الآية التي نفسرها تفصيل لكيفية الضمان كما يأتي مبينا عنه رحمه الله تعالى

(قال) ومما يناط بهذه الأمة وهو أصل كل معروف النظر في تعليم الجاهلين فإذا علمت ان في مكان ما طائفة من المسلمين جاهلين بما يجب اتخذت الوسائل لتعليمهم . ومن هنا يعلم فساد ما يقوله كثير من الفقهاء من أنه لا يجب عليهم أن يتصدوا لتعليم الناس ما لم يسعوا اليهم و يسألوهم . ولا يجهل أحد ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تصدى لتعليم الناس ولم يقعد في بيته منتظرا سؤال الناس ليفيدهم وكذلك فعل الصحابة عليهم الرضوان اهتداء بهديه

(قال) ثم ان كون القائمين بالأمر والنهي أمة يستلزم أن يكون لها رياسة تدبرها لأن أمر الجماعة بغير رياسة يكون مختلا معتلا فكل كون لا رياسة فيه فيه فاسد فالرأس هو مركز تدبير البدن وتصريف الأعضاء في أعمالها وكذلك يكون رئيس هذه الأمة تحفظ النظام وتوزيع الأعمال على العاملين فمنهم من يوجهون الى دعوة غير المسلمين الى الاسلام ومنهم من يوجهون الى إرشاد المسلمين في بلادهم ومقام الرياسة يختار بالمشاورة لكل عمل ولكل بلاد من يكونون أكفاء للقيام بالواجب فيها لتكون أعمالهم مؤدية الى مقصد الأمة العام فان من معنى الأمة أن يكون للأفراد الذين تتكون منهم وحدة في القصد من أعمالهم وسيرهم فاذا اختلفت المقاصد فسد العمل باختلاف الآراء وتشتت القوى ولذلك جاء بعد هذه الآية النهي عن التفرق والاختلاف

(قال) ثم ان كون الأمة الخاصة منتخبة من الأمة العامة يقتضي أن تكون للعامة رقابة وسيطرة على الخاصة تحاسبها على تفريطها ولا تعيد انتخاب من يقصر في عمله لمثله . فالأمة الصغرى المنتخبة (بفتح الخاء) تكون مسيطرة على افراد الأمة الكبرى المنتخبة (بكسر الخاء) وهذه تكون مسيطرة على الأمة الصغرى وبهذا يكون المسلمون في تكافل وتضامن

◄ نموذج من انجيل برنابا ►

الفصل الرابع والتسعون [١]

١ ولما قال يسوع هذا عاد فقال : «اني أشهد امام السماء وأشهد
كل ساكن على الارض اني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم
من بشر ٢ لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله [ب] أعيش
كسائر البشر عرضة للشقاء العام ٣ لعمر الله [ت] الذي تقف نفسي بحضرته
إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته ٤ ليلطف [ث]
الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة »
٥ فقال حينئذ الكاهن : «ليغفر لنا الله [ج] أما أنت فصل لأجلنا »
٦ثم قال الوالي وهيرودس : « ياسيد انه لمن المحال ان يفعل بشر ما أنت
تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول »
٧ أجاب يسوع : « ان ما تقوله لصدق ان الله يفعل صلاحاً بالانسان
كما ان الشيطان يفعل شراً ٨ لان الانسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل
ويبيع فيه ٩ ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملك أنما تقولان هذا
لانكما اجنبيان عن شريعتنا لانكما لو قرأتما العهد وميثاق الهنا [١] [١] لرأيتما
ان موسى حول بعصاه البحر دما والغبار براغيث والندى زوبعة والنور
ظلاما ١٠ أرسل الضفادع والجرذان على مصر فغطت الارض وقتل الابكار
وشق البحر وأغرق فيه فرعون ١١ ولم أفعل شيئاً من هذه ١٢ وكل يعترف
بأن موسى اغاهو الآن رجل ميت ١٣ أوقف [٢] يشوع الشمس وشق

(ا) سورة المؤمنين (ب) الله حكيم (ت) الله حي (ث) أستغفر الله
(ج) بلاء على فرعون وغرق ذكر منه
(١) خر ٧　(٢) يش ١٠ : ١٢ — ١٤

الاردن وهما مما لم أفعله حتى الآن ١٤ وكل يعترف بأن يشوع انما هو الآن
رجل ميت ١٥ وأنزل ايليا النار من السماء (١) عياناً وأنزل المطر (٢) وهما
مما لم أفعله ١٦ وكل يعترف بأن ايليا انما هو بشر ١٧ كثيرون آخرون من
الانبياء والاطهار واخلاء الله فعلوا بقوة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين
لا يعرفون الهنا (ا) القدير الرحيم المبارك الى الأبد »

الفصل الخامس والتسعون (ب)

١ وعليه فان الوالي والكاهن والملك توسلوا الى يسوع ان يرتقي مكاناً
مرتفعاً ويكلم الشعب تسكيناً لهم ٢ حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الاثني
عشر التي أمر يشوع الاثني عشر سبطاً ان يأخذوها من وسط الاردن
عندما عبر اسرائيل من هناك وحمل كل أحد منهم (٣) ٣ وقال بصوت عال :
« ليصعد كاهننا الى محل مرتفع بحيث يتمكن من تحقيق كلامي » ٤ فصعد
من ثم الكاهن الى هناك ٥ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من
سماعه : « قد كتب في عهد الله الحي (ث) (٤) وميثاقه أن ليس لالهنا
بداية (ث) ولا يكون له نهاية (ج) »
٦ أجاب الكاهن : « لقد كتب هكذا هناك »
٧ فقال يسوع : « انه كتب هناك ان الهنا (ح) قد برأ كل شيء
بكلمته (خ) (٥) فقط »

(ا) الله قدير على كل شيء والرحمن (ب) سورة لا اله الا الله (ت) الله حي
(ث) الله قديم (ج) الله باق (ح) الله خلق (خ) خالق الله كل شيء في كلام واحد منه
(١) ١ مل ١٨ : ٣٨ و ٣٩ (٢) ١ مل ١٨ : ٤١ (٣) يش ٤ : ٨ (٤) مز ٩٠ : ٢
(٥) مز ٣٣ : ٦

بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الارض وفان كسائر البشر ٢٠ وانه
كان لي بداية وسيكون لي نهاية وإني لاأقدر أن أبتدع خلق ذبابة »
٢١ حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا : « لقد أخطأنا اليك
أيها الرب الهنا [ا] فارحمنا [ب] » ٢٢ وتضرع كل منهم الى يسوع ليصلي
لاجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يدفعها الله في غضبه لتدوسها الأمم [ت]
٢٣ فرفع يسوع يديه وصلى لاجل المدينة المقدسة ولاجل شعب الله
وكل يصرخ : « ليكن كذلك آمين »

الفصل السادس والتسعون [ث]

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال : « قف يا يسوع
لانه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لأمتنا »
٢ أجاب يسوع : « أنا يسوع بن مريم [ج] من نسل داود بشر مائت
ويخاف الله وأطلب ان لا يعطى الإكرام والمجد الا لله »
٣ أجاب الكاهن : « انه مكتوب في كتاب موسى ان الهنا سيرسل
لنا مسيا [ح] الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله ٤ لذلك
أرجوك ان تقول لنا الحق هل أنت مسيا [خ] الله الذي ننتظره ؟ »
٥ أجاب يسوع : « حقاً ان الله وعد هكذا ولكني لست هو لانه
خلق قبلي وسيأتي بعدي [١]

« ا » الله سلطان « ب » أستغفر الله « ت » الله قهار « ث » سورة المبشر
« ج » قال عيسى أنا عيسى بن مريم « ح » الله مرسل رسل « رسول » « خ » رسول
« ١ » يو ١ : ١٥

٨ فأجاب الكاهن : « انه لكذلك »

٩ فقال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الله لا يُرى(أ) وانه محجوب(ب) عن عقل الانسان لانه غير متجسد(ت) وغير مركب وغير متغير(ث) »

١٠ فقال الكاهن : « انه لكذلك حقاً »

١١ فقال يسوع : « انه مكتوب هناك كيف ان سماء السموات لا تسعه(١) لان الهنا غير محدود(ج) »

١٢ فقال الكاهن : « هكذا قال سليمان النبي يا يسوع »

١٣ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان ليس لله حاجة لانه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص(ح) »

١٤ قال الكاهن « انه لكذلك »

١٥ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الهنا في كل مكان وان لا اله سواه(خ) الذي يضرب ويشفي ويفعل كل ما يريد(٢) »

١٦ قال الكاهن : « هكذا كتب »

١٧ حينئذ رفع يسوع يديه وقال : « أيها الرب الهنا(د) هذا هو ايماني الذي آتي به الى دينونتك شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك »

١٨ ثم التفت الى الشعب وقال : « توبوا لانكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن انه مكتوب في سفر موسى عهد الله الى الأبد ١٩ فاني

«أ» الله لا تدركه الابصار (ب) الله خفي (ت) لا بدن له (ث) لا يختلف الله منه (ج) الله عظيم (ح) الله غني (خ) قال عيسى لا غير الله لا اله الا هو «د» الله سلطان

«١» ١مل ٨ : ٢٧ «٢» تث ٣٢ : ٣٩

٦ أجاب الكاهن : « اننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبي وقدوس الله ٧ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل ان تفيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مسيا »

٨ أجاب يسوع : « لعمر الله [١] الذي تقف بحضرته نفسي اني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الارض كما وعد الله ابانا ابرهيم [١] قائلا : بنسلك أبارك كل قبائل الارض : ٩ ولكن عند ما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله ١٠ فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً ١١ حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لاجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة [ب] وسيبيد الاصنام وعبدة الاصنام ١٣ وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا»

الفصل السابع والتسعون [ت]

١ « ومع أني لست مستحقاً أن أحل سير حذائه [٢] قد نلت نعمة ورحمة من الله لاراه »

٢ فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين لا تزعج نفسك يايسوع قدوس الله لان هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى ٣ لاننا

« ا » بالله حي « ب » في لسان لاتن لود ابليس « ت » سورة محمد رسول الله

« ١ » تك ٢٢ : ١٨　　« ٢ » مر ١ : ٧

سنكتب الى مجلس الشيوخ الروماني المقدس باصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله »

٤ فقال حينئذ يسوع [ا] : « ان كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ٥ ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ٦ وان ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه [ب] لأن الله سيحفظه [ت] صحيحاً »

٧ أجاب الكاهن : « أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله [ث] ؟ »

٨ فأجاب يسوع : « لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ٩ ولكن يأتي عدد غفير من الانبياء الكذبة وهو ما يحزنني ١٠ لان الشيطان سيثيرهم بحكم [ج] الله العادل فيتسترون بدعوى انجيلي »

١١ أجاب هيرودس : « كيف ان مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ »

١٢ أجاب يسوع : « من العدل ان من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته ١٣ لذلك أقول لكم [ح] ان العالم كان يمتهن الانبياء الصادقين دائماً وأحبَّ الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وأرميا [١] لان الشبيه يحب شبيهه » [خ]

« ا » قال عيسى صفات ناجحة رسول الله لانه احياء في الدنيا برفع اعتقاد السوء من أهل الدنيا لنا ودينه يضبط جمع للدنيا لدينا منه « ب » دين رسول الله أبدي لانه تعالى يحفظ دينه منه « ت » الله حافيظ « ث » رسول الله خاتم الانبياء « ج » حكم الله عادل « ح » والى بني آدم « خ » الجنس مع الجنس منه

« ١ » ؟ أر ٣٦ : ١٨

١٣ فقال حينئذ الكاهن: «ماذا يسمى مسيا وما هي العلامة التي
تعلن مجيئه(أ)؟»
١٤ أجاب يسوع: «ان اسم مسيا(ب) عجيب لان الله نفسه سماه
لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي ١٥ قال الله: «اصبر يا محمد(ت) لاني
لاجلك(ث) أريد أن أخلق(ج) الجنة والعالم وجما غفيراً من الخلائق التي
أهبها لك حتى ان من يباركك يكون مباركا ومن يلعنك يكون ملعونا
١٦ ومتى أرسلتك(ح) الى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك
صادقة حتى ان السماء والارض تهنان ولكن ايمانك لايهن أبداً ١٧ ان
اسمه المبارك محمد:»
١٨ حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: «يا الله أرسل(خ) لنا رسولك(د)
يا محمد(ذ) تعال سريعاً لخلاص العالم»

الفصل الثامن والتسعون

١ ولما قال هذا انصرف الجمهور مع الكاهن والوالي مع هيرودس
وهم يتحاجون في يسوع وتعليمه ٢ لذلك رغب الكاهن الى الوالي ان يكتب

«أ» جاءت طائفة من اليهود عيسى يسألون عن اسم النبي الذي يبعث في آخر الزمان فقال عيسى ان الله تعالى خلق النبي في آخر الزمان ووضعه في قنديل من نور وسماه محمداً قال يا محمد اصبر لاجلك خلقاً كثيراً وهبت لك كله فمن رضي منك فانا راض منه ويبغضك فانا بريء منه فاذا أرسلت يفوق كلامك على كل الكلام وشريعتك باق الى أبد الآبدين «ب» رسول «ت» محمد «ث» الله محب ووهاب «ج» الله خالق «ح» الله مرسل «خ» الله مرسل «د» رسول الله «ذ» يا محمد «ر» سورة طام «طعام»

بالامر كله الى رومية الى مجلس الشيوخ فصل الوالي كذلك ٣ لذلك عن مجلس الشيوخ على اسرائيل وأصدر أمراً آنه ينهي ويتوعد بالموت كل أحد يدعو يسوع الناصري نبي اليهود إلهاً أو ابن الله ٤ فعلق هذا الامر في الهيكل منقوشاً على النحاس» الخ



خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي

تلاها باللغة التركية في ردهة فندق الكونتننتال بالقاهرة على نحو ثلاث مئة رجل من جميع الطبقات المتعلمة (ماعدا الامراء) وقرأ ترجمتها بالعربية الشيخ عبد الوهاب النجار :

شيء من أحوال المسلمين في البلاد الروسية

نشأت لمسلمي روسيا في الازمان السالفة دولتان كبيرتان احداهما دولة «آلتون أوردو» وكانت عاصمتها مدينة «سراي» قرب بحر قزوين والاخرى الدولة التيمورية . ولما سقطت هاتان الدولتان الكبيرتان وقامت على أنقاضهما خانات (امارات) صغيرة متعددة وهي امارة سيبيريا وإمارة قزان وإمارة استراخان وإمارة قريم وامارات القافقاس نشأت في آسيا الوسطى امارات بخارى وخيوا وخوقند وعدة جمهوريات صغيرة - اذا صح هذا التعبير - في تخوم الدولة الايرانية الشمالية .

ثم دار الزمان دورته وحتم لامارتي بخارى وخيوا أن تصيرا داخل حدود الممالك الروسية وتدخلا تحت حمايتها . وأما بقية الامارات فقد استولت عليها الروس استيلاء كاملا وصارت الآن ولايات روسية صرفة

أول الامارات سقوطاً هي امارة قزان وسيبيريا وأما الجمهوريات التركمانية فلم تخضعها الروس الا في العهد الاخير

---

*) راجع باب الاخبار من هذا الجزء

نزل معظم مسلمي روسيا في آسيا وفي القافقاس وقسم عظيم منهم يقطنون الولايات الداخلية والشرقية من أوربا الروسية وقليل في شبه جزيرة قريم .

وعدد المسلمين الساكنين في القافقاس الشرقية وداغستان وفي تركستان تسعون في المائة بالنسبة لغيرهم من الشعوب هناك . وأما في سيبيريا فهم الاقلون . والساكنون منهم في الولايات الشرقية من أوربا الروسية يختلطون بالروس وسائر الاجناس . وهم الاكثرون في ولاية أوفا اذ هم هناك سبعون في المئة بالنسبة لغيرهم .

وأما عدد مجموعهم فهو يناهز — بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ — سبعة عشر مليون نسمة . واذا ضممنا اليهم أهل بخارى وخيوا جاوز عددهم ٢٠ مليونا .

ولا ينبغي أن يفوتنا العشرة الملايين من الترك الساكنين في تركستان الصينية (كشغر) الذين تجمعهم ومسلمي روسيا أواصر اللغة والآداب وبذلك تألف هناك « مجتمع جنسي » مؤلف من ثلاثين مليون نسمة .

تسعة وعشرون مليونا من هؤلاء سنيون ومليون واحد شيعيون . وأما من حيث الجنسية واللغة فكلهم ترك سوى بضعة آلاف من قبائل الشراكسة القاطنين في جبال القافقاس ولهم لغة ذلك الكلام باللغة التركية

يشتغل مسلمو روسيا بالزراعة وتربية المواشي وبالتجارة بحسب ما تسمح لهم مواطنهم . وكانت لهم في سالف الايام صناعات تذكر . ولكنها أخذت تسقط رويداً رويداً من مكانتها الاولى بمزاحمة مصنوعات المعامل الاوروبية الحديثة كما هي الحال في الأقطار الاسلامية قاطبة . والقريميون منهم معروفون بتعهد البساتين وانماء الفواكه المختلفة الطيبة

والقوقاسيون أو القافقاسيون يشتغلون في الغالب بتربية دود القز وصنع البسط والطنافس الجيدة وقد انتشرت بينهم في العهد الأخير زرعة القطن انتشاراً عظيما .

وأما التركستانيون فيقومون على تربية دود القز وانماء الفواكه وزراعة القطن .

والجهات الشمالية من آسيا الوسطى عبارة عن القفار والاراضي القاحلة ويندر فيها الماء العذب السائغ وتتقلب في ارجائها قبائل رحالة بمواشيها وانعامها .

في ولايات أوربا الروسية والقوقاس أربع مشيخات اسلامية . ثلاث منها

السنيين وواحدة للشيعة . ولدى كل مشيخة مفت (أو شيخ اسلام) وثلاثة قضاة أو أعضاء وتنظر هذه المشيخات في الامور الدينية البحتة كالنكاح والطلاق والمواريث والنسب وتقسيم التركات وتوزع السجلات على أئمة المساجد كي يثبتوا فيها المواليد والوفيات وعدد الطلاق والنكاح وما اليها مما يقع في أحيائهم.

وتقسم التركات الاسلامية في روسيا على وفق الشريعة الاسلامية . وكذلك الوصايا الاسلامية لا يمسها القانون الروسي بسوء.

في كل قرية اسلامية — في أوربا الروسية وفي القريم — مسجد وكتاب . وأما القرى الكبرى ففيها عدة مساجد وعدة كتاتيب

وفي أوربا الروسية والقوقاس سبعة آلاف مسجد وثمانية آلاف كتاب وما ينيف على مائة مدرسة دينية وأكثر مسلمي روسيا عناية بأمور التعليم والمدارس المسلمون الساكنون في الولايات الداخلية الروسية

وعدد المتعلمات من البنات في الكتاتيب يساوي ثلث المتعلمين من الذكور ومما يحسن ذكره هنا أن جماعة من الفتيات المسلمات يتعلمن في مدارس البنات التجهيزية الرسمية . وكذلك تتعلم اليوم في القسم الطبي من الجامعة ببطرسبورغ أربع عشرة فتاة مسلمة . وقد كانت أكملت دروس الطب فيها فتاتان مسلمتان وهما تمارسان اليوم صناعة الطب . وكان دخول السيدة « رضية » احدى تينك الطبيبتين في الجامعة بسعي المرحوم شاكر باشا السفير السابق للدولة العثمانية في بطرسبورغ

وليس لدي الآن تفصيل بشأن الكتاتيب والمدارس الاسلامية في آسيا الروسية ولكني أعلم ان المدارس الدينية كثيرة ملأى بطلاب العلوم في مدينة بخارى وخوقند وسمرقند وغيرها من حواضر البلاد التركستانية

واني لا أتمالك ان أذكر هنا بكل أسف ان تلك المدارس لا تبرح تسود فيها الفوضى والخلل في طرق التعليم . ومن أجل ذلك لا تأتي بفوائد يقتضيها هذا الزمان ونطاق برجراماتها أضيق من أفكار الاساتذة القائمين فيها بالتعليم والتدريس وليست بيننا الى الآن مدارس للمعلمين والمعلمات ولكن فكرة انشاء المدارس

من هذا القبيل قد حدثت في العهد الاخير

انتشرت بين مسلمي الروس فكرة الارتقاء والتمدن منذ ربع قرن انتشاراً يذكر . ومن ثمرات هذه الفكرة أنهم جعلوا في العهد الاخير يصلحون كتاتيبهم ومدارسهم و ينشرون المؤلفات المفيدة في العلوم العصرية والادبيات التركية وطفقوا ينشئون المعاهد العلمية على الطراز الحديث و يرسلون التلاميذ الى المدارس الروسية والاوروبية والى الاستانة ومصر لتلقي العلوم الحديثة العصرية والعلوم العربية والدينية .

و يناهز عدد الكتب المنتشرة بين مسلمي روسيا في العلوم العصرية والادبية نحو خمسمئة كتاب

وعدد المطابع الاسلامية الموجودة في روسيا كما يأتي :

ثلاث في بطرسبورغ وثلاث في قزان وثنتان في تفليس وثنتان في باكو وواحدة في باغجة سراي . وفي قزان ثلاث مطابع روسية ذات حروف عربية فيكون المجموع ثلاث عشرة مطبعة . وأما الصحف المنتشرة الاسلامية في البلاد الروسية فهي :

صحيفتان في بطرسبورغ واربع في قزان وثلاث في اورنبورغ وثلاث في باكو وواحدة في طاشقند [illegible] واثنتان في القريم وواحدة في تفليس وواحدة في باغجه سراي واحدة من هذه الصحف تصدر باللغة العربية والبقية بالتركية . واحدى الصحف التركية تكتب بلهجة تقرب من لهجة الترك العثمانيين والبقية تكتب الآن بلغات تركية مختلفة باختلاف الاقاليم . والرجاء أن تتحد لغات هذه الصحف أو تتقارب كل التقارب في مستقبل قريب أو بعيد . وهذا الاتحاد اللغوي غاية ما يرمي اليه المصلحون والمنورون منا وثلاث صحف من تلك الصحف علمية أدبية والبقية سياسية أيضا . وأما من جهة الخطة فثلاث عشرة صحيفة منها وطنية معتدلة وثنتان ترميان الى غاية « اشتراكية ديمقراطية »

وفي روسيا اثنتاعشرة جمعية خيرية اسلامية غرضها اسعاف المعوزين والاخذ بأيدي البائسين والمساكين ولها قوانين مصدق عليها من الحكومة

و يتجاوز عدد الكتاتيب التي أصلح أمرها ألف كتاب تعلم فيها القراءة التركية والكتابة والقرآن والعقائد الدينية ومبادىء الحساب والجغرافية والتاريخ الاسلامي

وشيء من علم حفظ الصحة

وأما المدارس الدينية فقد أصلحت منها مدرسة في قزان وأخرى في أورنبورغ وثالثة في أوفا . وفي تلك المدارس تدرس اليوم العلوم الرياضية والطبيعية وتقويم البلدان والتاريخ . دع عنك العلوم العربية والدينية بانواعها

ولقد نشأ لمسلمي روسيا افراد جادوا بأموالهم وأنفس املاكهم في سبيل ترقية المعارف واعلاء قدر الامة والملة . وأخص بالذكر من بينهم المرحوم الحاج نعمة الله قراميشف السيبيري الذي بذل أموالا طائلة في سبيل انشاء مئة كتاب ومئة مسجد وأنفق مبلغا عظيما لتأسيس مكتبة عامة أودعها أنفس الكتب وأندر الآثار . أكرم الله مثواه وأحله مقاما كريما . وأنفق التاجر القزاني المرحوم أحمد الحسيني في انشاء معاهد العلم وترقية المعارف ثلثمائة ألف روبل . وأنشأ شقيقه عبد الغني الحسيني مئتي كتاب على نسق حديث وقد نشر بهمته انشاء فكرة اصلاح الكتاتيب وكذلك الاصول الحديثة المعروفة بالاصول الصوتية التدريجية الى تخوم الصين وذلك بانشاء الكتاتيب في تلك الديار النائية كما أنشأها في الولايات الروسية المتوسطة جزاهم الله عنا وعن العلم والفقراء خير الجزاء

وممن تقضي علينا الانسانية ان نذكر اسمه مقرونا بالاجلال والاحترام الحاج زين العابدين تاغييف الباكوي لان خدمة هذا المثري الكريم في سبيل نشر العلم واسعاد الفقراء أكثر وأجزل

أنشأ هذا الرجل في داغستان مئة مسجد ومئة كتاب . وأنشأ في ضواحي مدينة باكو حقلا أنموذجيا . وأنشأ للدفاع عن الحقوق الوطنية جرائد متعددة باللغة الروسية والتركية

وبذل ملايين من الروبلات لتعليم أناس كثيرين في الجامعات الروسية والاوروبية . وما معظم الاطباء والمحامين والمهندسين المسلمين الذين نفتخر بهم الامن آثار همة هذا الرجل الكريم. ولم ينس هذا الرجل العظيم المسلمات أيضا فقد أنشأ في مدينة باكو مدرسة للمحمديات انفق على بنائها فقط عشرين ألف جنيه . ووقف عليها وقفا يأتي بايراد قدره ثلاثون ألف جنيه سنويا ولا يعد أن

تصبح هذه المدرسة ذات يوم « المدرسة الجامعة » للاناث

ولم يجتزئ هذا الرجل بمساعدة من في روسيا فقط بل مديد المعونة الى ايران أيضاً . وقد طبعت هناك كتب جمة على نفقة هذا الرجل الكريم . ويقدر ما ساعد به المنكوبين والبائسين في البلاد الفارسية عليونين بل وزيادة

أيها السادة : شاركوني في الدعاء لهذا الرجل الناصح للانسانية والخادم للفضيلة . أطال الله بقاءه وحفظه من كوارث الزمان .

وأما الاغنياء الذين أنشؤا كتابا أو كتابين ومدرسة أو مدرستين فهم كثيرون جداً يتعذر علىّ الآن احصاؤهم وما الخطوة التي خطوناها الى الامام في ميدان التقدم الا بفضل هذه الكتاتيب والمدارس التي أسست ووصلت بهمة أمثال من ذكرنا أسماءهم من أولي الهمم العالية الى ما وصلت .



وها قد آن لنا أن نوجه وجه الكلام الى الامور التجارية والاقتصادية .

ان لمسلمي ... في ... الروسية قوة تذكر في هذا الشأن . ولكنه لا يمكن اعدادها وتنميتها بنشر العلوم والمعارف بينهم . لان الاقوام الذين يحق للمسلمين ان يباروهم في ساحة الاعمال التجارية أشداء أقوياء فيما يمارسون . فمسلمو روسيا — عدا من يسكنون منهم الولايات الداخلية — من الاراضي ما يكفيهم للاستقلال . وقد تولدت بينهم فكرة الحرص عليها وعدم تمكين الآخرين منها تولداً يبشر بحسن المغبة ان شاء الله . وأهل تركستان بارعون جدا في أمور الفلاحة والزراعة . لا يقدر على نزع الارض الغالة من أيديهم — من الوجهة الاقتصادية — لا الروس ولا مهاجرو الالمان .

وهم يكدحون في أمر الزراعة كدحاً لا يعرفون فيه الملل والسآمة . فهم يشبهون المصريين من هذه الوجهة كل الشبه ولكن أراضيهم الغالة أكثر وأفسح من أراضي القطر المصري . ونصف القطن الذي تحتاج اليها معامل المنسوجات الروسية يرد من الخارج وأما النصف الآخر فهو ثمرة كدح أهل تركستان وحدهم . فزراع القطن في تركستان يجلبون من روسيا الاوروبية الى بلادهم مبالغ طائلة .

وأما المسلمون القاطنون في مدينة قزان وما يتاخمها من البلدان فلهم كثير من معامل الصابون والجلد . ومن معامل الجوخ ما فيه ثلاثة آلاف عامل . ومن جملتها معامل « آقجورين » المثري المسلم الشهير . وتبيع هذه المعامل سنويا الى الجيش الروسي من الجوخ ما يناهز مليون متر . وللمثري الشهير الحاج زين العابدين تاغييف الذي تقدم ذكره معمل للمنسوجات القطنية فيه أربعة آلاف عامل . وأكثرهم من المسلمين . وكذلك المهندسون وزعماء العمال فيها . وأما مديرها فكان من قبل انكليزيا ولم تبق اليوم حاجة الى الانكليزي اذ جعل صاحبها يديرها بنفسه

وهناك بيوت تجارية اسلامية كبيرة تشتغل باستخراج النفط والبترول يبلغ ما يتعامل به أحدهم عشرة ملايين روبل

وأكثر السفن التي تسير في بحر قزوين ملك المسلمين

والفواكه الطيبة التي تتفكه بها روسيا كافة هي من بساتين المسلمين في القريم .

لا يظنن ظان ان ذلك ارتقاء عظيم وتقدم جسيم . لان كل ما ذكرناه عن مسلمي روسيا هو شيء طفيف تافه جدا بالنسبة الى الامم الراقية الحية التي تخطو في مهيع التقدم والارتقاء خطا العفاريت وتهتدي الى أسباب النجاح والفلاح اهتداء الخريت وتمضي في سبيل الخير والصلاح مضاء الاصليت

ولكن لا ينبغي لنا ان لا نيأس ونتقاعد عن النظر فيما يرقي شؤوننا ويصلح حالنا اذ كل من سار على الدرب وصل

ولا شك أن مسلمي روسيا يستفيدون ويفيدون من الانقلاب الذي حدث في روسيا ومن دستورها الذي هو ثمرة ذلك الانقلاب استفادة كبيرة . وقد تنبهت أفكار الأمة في السنين الثلاث الأخيرة تنبها عظيما واتسع نطاق الآمال اتساعا جسيما . حقا ان انقلاب روسيا أثر تأثيرا يذكر في مسلمي روسيا وأنالهم فوائد جمة . ولست الآن بمكتف بتعداد تلك الفوائد جملة بل أحب أن أذكر هنا أهمها وأعودها عليهم بالفائدة .

أيها السادة : ان مسلمي روسيا أنشأوا لأنفسهم حزبا سياسيا دستوريا ديمقراطيا باسم « اتفاق مسلمي روسيا » فاجتمع مندوبو المسلمين في الولايات المختلفة في

أغسطس سنة ١٩٠٥ في مدينة « نيجني نوفغورد » غير أن الوالي لم يسمح بعقد الاجتماع رسميا . ولم يكن الوقت ليتسع لتحصيل الاذن من العاصمة . فعقد المندوبون اجتماعهم على ظهر باخرة استأجروها للتنزه عليها في نهر « فولجا » . فقررت الآراء في ذلك الاجتماع انشاء (حزب اتفاق المسلمين) وانشاء فروع له في الولايات للذب عن حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية والادبية .

وقد أنشئت لهذا الحزب الذي يتقوى يوما فيوما فروع في بعض الولايات بالفعل ورفعت قوانينها الى الحكومة لتصادق عليها . وكذلك عقد المسلمون سنة ١٩٠٦ اجتماعا غير رسمي في بطرسبورغ وآخر رسميا في « نيجني نوفغورد » وبلغ عدد الحاضرين في الاجتماع الثالث سبعمئة رجل وامتدت مدة المفاوضة والمناقشة خمسة أيام

وبفضل هذه الاجتماعات انتشرت الافكار السياسية بين المسلمين انتشارا زائدا فتسنى لهم أن ينتخبوا منهم أربعة وعشرين نائبا للدوما الأولى و٣٦ نائبا للدوما الثانية ولا يسعنا هنا الا الاعتراف بأن هذا النجاح الباهر في الانتخاب في تينك المرتين لم يحصل بجهدنا فقط بل كان فيه للقوانين العادلة ومساعدة أحرار الروس لنا معاملة شريفة تأثير كبير لا ينكر

نعم ان أحزاب التقهقر من الروس ينظرون الى « اتفاق المسلمين » نظر المتغاظ المستشيط ولكنه غير خارج عن دائرة القانون حتى تكرهه الحكومة وليس حزبا يسعى لايقاع التفرقة بين الرعايا الروسيين حتى ينفر منه الاحرار من الروس . ومما يحسن ذكره هنا أن المسلمين يعيشون مع الروس على غاية من الوفاق والوئام . وأمة الروس كثيرة الجنوح الى الائتلاف والسلام . وهم لا ينظرون الى المسلمين نظر المتهين المزدري بل يعاملونهم معاملة القرين لقرينه وأبواب الجمعيات العلمية والادبية والاندية والمدارس كلها مفتحة في وجوه المسلمين اذا هم رغبوا في اللحاق بأهلها

نعم قد حدث في الايام الغابرة بتأثير الكنيسة وجماعة المبشرين بعض الحوادث المؤلمة ولكنها قد زالت أسبابها بعد أن أعلنت الحرية كل الزوال ونؤمل

أن تحسن أحوالنا في المستقبل أكثر مما تحسنت . ورأينا كثيرين ممن أكرهوا زمن الاستبداد على التنصر قد عادوا الى الاسلام وكذلك انتحل الاسلام اناس من الروس الاصليين رجالا ونساء . والفضل في ذلك كله للحرية التي ترقى بها الامم وتكمل الانسانية

﴿ مسألة التعليم العام ﴾

اذا أرادت معظم أمم الارض أن تدخل في دور التمدن والرقي يكفيها النظر في مستقبلها فقط وعلى العكس من ذلك الامة الاسلامية فانها مطالبة بأن تمد نظرها الى الماضي أيضاً فليس في الامم الأخرى في غابر أزمانها ما يستدعي الالتفات نحوه . أما الامة الاسلامية فان أعوامها السالفة كلها عبر وحسنات رقي ونجاح . ولما كانت الامة الاسلامية الحاضرة تمتاز على غيرها في هذا المبدأ فلا بأس من أن تعيد نظرة الى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم وانشاء المدارس

ان مصر هذه التي تعد منبع المعارف ومهد المدنية وان كانت في سالف أيامها أي منذ ٤٠ قرناً اشتهرت بمرقاتها في العلوم الا ان هذه النعمة ما نفعت اذ ذاك غير كونها آلة لتوسيع نفوذ طائفة الكهنة وواسطة لتقوية أهوائهم

ثم انتقلت القراءة والكتابة الى ديار اليونان فظهرت فيها عدة مجامع علمية كمدارس سقراط وافلاطون وارسطاطاليس الا أن هذه المجامع لم تكن على شكل مدارسنا اليوم ، بل كانت أشبه بمجالس المذاكرة خاصة يختلف اليها المولعون بالبحث والمناظرة وأعني بذلك أنها لم تكن عامة للتدريس يهرع اليها كل طالب .
انتقلت المدنية اليونانية بعد ذلك الى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فتقدمت معها قوانين ادارة الملك وعلم الحقوق تقدما عظيما ولم تنبه فيهم أيضاً فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غامضة غريبة عن الافكار الى أن قيض الله تعالى للعالم الانساني الامة الاسلامية التي اهتدت الى هذه الفكرة لاول وهلة فأخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حظها من التوسع والانتشار .

ومنشأ ذلك الاسلام نفسه لأنه كما أتى بالتوحيد أتى بما يدعو الى وجوب تعليم العالم . فلقد كان من مقتضى ذلك ان المسلمين بنوا عند كل معبد تقام فيه الشعائر

الاسلامية كتاباً او مدرسة لتعليم العام مجاناً . فاصبح التعليم العام المجاني من جملة الخيرات التي انتجتها المدنية الاسلامية في العالم الانساني . ثم لم تلبث هذه النعمة العظمى في ايدي المسلمين زمناً طويلاحتى انتقلت منهم الى الامم الغربية وهناك نالت مانالته من الحفاوة والاجلال فتقدمت تقدما باهرا وانتشرت انتشاراعظيما

فواأسفاه على هذه الخسارة التي لحقت بنا وواأسفاه على ذلك الاهمال الذي أفضى بنا الى ضياع هذه النعمة من أيدينا بعدأن ورثناها عن آبائنا . لقد قصرنا في حفظها تقصيراً لامزيد عليه . فالمعارف التي تركها لنا الاسلاف بقيت طفلة في مهدها ولم نعمل على انمائها بل المدارس والمعاهد العلمية التي هي تذكار المتقدمين لنا لم نسع في ترقيتها فبدل أن نعمرها ونرفع أعلام مجدها السابق سعينا في تخريبها أو هدمها .

ان تلك المعاهد العلمية التي نشأ منها أمثال ابن سينا والفارابي وابن رشد والغزالي ومحيي الدين بن العربي أصبحت منذ عدة قرون دوراً للعجزة الضعفاء ومسكناً للمعطلين

ولم يكن السبب في حالتنا هذه الا التكاسل والاهمال الذي أسبل ستار الغفلة علينا وحال دون تذهبنا الى حالة الامم الاخرى

أما الآن فقد أقبل — ولله الحمد والثناء — على الأمة الاسلامية دور التيقظ فأخذت الرغبة في التعليم تتولد في كل جهة من الممالك الاسلامية فأصبحنا نسمع صدى بعض الافراد والحكومات للتفكير في شؤون التعليم والمدارس ولكن ذلك من سوء الحظ لم يبلغ الخطة المطلوبة نحن معشر المسلمين منذ ثمانية قرون قد تركنا لأوروبا غنائم كثيرة وخزائن من المعارف ولم نطالبهم أثناء هذه المدة بردها الينا . ولكن قد حان الآن وقت الاعادة فعلينا أن نستردها منهم استرداداً بحمل ماتوفر لديهم حتى الآن من انمائها ولا يقال هنا أن الشرق غريم الغرب اذ لا يقصد منه الا الذهب الذي لايساوي شيئاً اذا قيس بالعلوم والمعارف التي هي حقوق الشرق على الغرب فغرامة الغرب لنا هي أعظم بكثير من غرامتنا له فعلى الدائن أن يطالب المدين

وليست هذه الكلمات من بنات أفكاري الخاصة كلا بل يقولها فواب المتفنن الالماني ودرابر العالم الامريكي وما سأعرضه أيضاً مما يثبته تاريخ التعليم

لا ينكر اليوم أحد من العقلاء المستنيرين ضرورة التعليم العام لنوع البشري وخصوصاً للامة الاسلامية فان ديننا القويم يقضي علينا بتصديق هذا الأمر وقبوله وابرامه ووضعه موضع الاجراء . وفي نظري أن هذا الامر ليس من قبيل المسائل حتى يتناقش فيه بل هو أمر ديني قطعي فما علينا الا أن نتناقش في كيفية اجرائه وايجاد الطريق القويمة الموصلة الى هذا المقصد لتعجيله فقط .

وقد أثبتت تجارب أعظم الامم المتمدنة في هذا العصر أنه لا يمكن تعميم التعليم ونشره الا بوجود كتاب واحد لكل ستين أسرة من الامة

وأما طريقة إجراء العمل فتكون بحسب الميزان الآتي .

لو فرضت مملكة من الممالك يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة فمقدار ما يلزمها من الكتاتيب هكذا . يتعين أن تقسم هذه العشرة الملايين على خمسة (أنفار) ثم تقسم الحاصل وهو مليونان على ستين فيبلغ عدد الكتاتيب على هذا الحساب نحو ثلاثة وثلاثين ألفا وهذا هو المقدار المعين السكاني لعشرة ملايين نفس

فلو بلغت مصاريف كل كتاب مع نفقات الأدوات ومرتبات المعلمين نحو ٤٠ جنيها يكون المجموع ١ر٣٣٠ر٠٠٠ جنيه . فاذا أضفنا اليه مبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه وهو ما يلزم للانفاق على ادارة تلك الكتاتيب وغيرها من مدارس المعلمين نحتاج في ايجاد التعليم العام الابتدائي الى ميزانية قدرها ١ر٥٠٠ر٠٠٠ جنيه

وهذا لا شك مبلغ جسيم الآن لا ينبغي أن لا يروعنا بجسامته . لان الفائدة التي نستفيدها من هذا المشروع مادية كانت أو معنوية أعظم وأرقى بكثير من ذلك المبلغ . فانسبة مبلغ ١ر٥٠٠ر٠٠٠ جنيه لعشرة ملايين نسمة الانسبة جزئية جدا تقضي بدفع ١٥ قرشا على كل نفر في السنة و٧٥ قرشاً عن كل أسرة . وربما يقال هنا إن طائفة العمال لا يستطيعون دفع ذلك . فنقول كلا لاننا لو فرضنا أن عاملا يشتغل في السنة ٣٠٠ يوم فيكون حاصل قسمة ٧٥ قرشاً عليها مليمين ونصفاً فقط وهو ما يطالب باقتصاده من مكسبه اليومي الذي لو بلغ خمسة قروش مثلا

لا يكلفه إخراج ذلك منه الا أن يتنازل عن فنجان من القهوة يتناوله يوميا ومن سيجارتين على الا كثر

فبقي علينا أن نبحث في النفقة اللازمة لبنائها فاذا فرضنا أن نفقة كل كتاب على حدته هو ١٥٠ جنيها تبلغ نفقات ٣٣ ألف كتاب ٥ ملايين من الجنيهات، وحينئذ نقع في مشكلة عظمى أيضا وهي خلو اليد من النقود . فما الحيلة ؟ الجواب سهل . وهو ان الأمة مادامت حية فالنقود توجد ألبتة أولا بد من وجودها .

النقود التي وجدت عند تأسيس الاهرام الجسيمة لم لا توجد لبناء مدارس؟ واذا كان يجوز للامم الحية اقتراض المال لانشاء السكك الحديدية والبرازخ والترع فلماذا لا يجوز اقتراضها لانشاء المدارس ؟

هذا وهناك طريقة أخرى لسهولة اجراء هذا المشروع وهي تجزئة مدة الا كتتاب الى عشر سنين لانه من البديهي أن مثل هذه المشروعات المهمة لاتتم دفعة واحدة كما أنها لا تتم الا با كتتاب ثقة الامة ورغبتها في المشروع .

الحاجة الى مؤتمر اسلامي عام

نرى المسلمين اليوم تنبهوا بعض التنبه في الاقطار الاسلامية كافة . وهب فضلاؤهم لانشاء الصحف والجرائد التي لها أثر عظيم في تنبيه الافكار والارشاد الى الخير والصلاح ونسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية وعلمية . هذه علائم خير تقر بها عين كل ناصح للانسانية ولكن لا يجوز لنا ألبتة ان نجتزئ بهذه العلائم الحسنة ثم نخلد الى أرض الدعة والكسل . فالمستقبل الحسن لمن يدأب ويعمل . لاجرم ان المرء يرى اذا جال طرفه في الاقطار الاسلامية من مدينة قزان الشمالية الى مصر الجنوبية ومن مراكش المغربية الى جاوا المشرقية علائم الانحطاط أ كثر من علائم الارتقاء

فقد عادت معظم المدارس مثابة للعاجزين والبطالين . ودثرت الصناعات الوطنية أو أشرفت على الدثور . أصبح حظنا قليلا من تجارة العالم و بدنا شلة في الصرف والشؤون المالية ونصيبنا عدما في التجارة البحرية . وليس لهذه الأمة التي ينيف عددها على ثلاثمئة مليون شركة مؤلفة من ثلاثين سفينة كما أنها

لا تملك مصرفا رأس ماله خمسة ملايين جنيه مثلا .

ليس في أيدينا ما نعيش به غير الاراضي الخصبة التي ورثناها عن آبائنا . تأتي لنا هذه الأراضي بالقمح والفلفل والبن والقطن والقز والفواكه وغيرها . ولكننا نجهل أساليب بيع هذه الغلات بيعاً رابحاً . ويذهب جزء عظيم من ربح تلك الحاصلات من أيدينا الى أيدي التجار الاجانب وجزء عظيم الى شركات تسيير السفن الاجنبية

ولا تكاد تجد تاجرا مسلما في جميع البلدان الاميركية والاوروبية الا في النادر واذا رأيت هناك تاجراشرقيا فهو اما أرمني أو رومي أو يهودي هندي أوصيني

اذا صرفنا النظر عن التجارة الخارجية فما بالنا لا نعمل في بلادنا أيضاً . ها نحن أولاء نرى معظم التجارات المهمة في البلاد العثمانية والايرانية ومصر والمغرب الاقصى والهند بأيدي النزلاء الذين يتقاطرون الى البلاد الاسلامية من أقطار العالم المختلفة

نحن لا نفتأ نقول : أمطرت السماء فشربنا وأنبتت الارض فأكلنا ولكن ينبغي لنا أن نعرف أننا اذا عشنا في الجهل بهذه الكيفية في الايام الغابرة يستحيل أن نبقى بها فيما نستقبله من الايام

اذا فقدت امة من الامم استقلالها ووقعت تحت حكم الاجنبي فانها تخسر خسرانا مبينا . بيد أن هذا الخسران لا يقام له وزن – في مذهبي – في جانب الخسارة التي تخسرها الامة التي تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكانتها في ميدان العمل والاقتصاد

وما هو السبب في هذه الحالة الالمية التي وقعت فيها الامة الاسلامية ؟ ليس لنا ان نقول : ان السبب هو الجهل ؛ ثم نسكت ؟ اذ يرد عليه سؤال آخر وهو : وما هو سبب الجهل ؟

اذا أغضي عن ترقي الامم الافرنجية ألا يجب على كل مسلم ناصح لأمته أن يسأل : كيف ارتقى الارمن والروم والكرج والبلغار واليهود والهندوس الذين كانوا قبل اليوم بنصف قرن يعيشون بيننا ويشاركوننا في معظم عاداتنا وآدابنا ونحن بقينا وراءهم ننظر اليهم بعين الاعجاب ؟

حالتنا أيها السادة مما يرثى له ولكن لا يجوز لنا البتة أن نكتمها لأن ذلك الكتمان هو عين الخطأ بل هو جناية عظيمة على نفوسنا

بل يحق لنا ان نجاهر بها في كل ناد ونسعى لتشخيص الداء حتى نصف له الدواء، هل من الرأي أن يكتم الانسان مرضه اذا لم يكن عدو نفسه، وليست عاقبة من يكتم مرضه الا الهلاك .

اذا كنتم تنتظرون الجواب عن الاسئلة السابقة من الخطيب فهو يبادر الى القول بأنه أعجز من ان يجيب على أمثال هذه الاسئلة العظيمة . لانه يبحث عن الجواب ولا يجده

أيها السادة ان استعداد الأمة العربية للمدنية قد ثبت عندنا بتاريخها المتلألئ اللامع .

ويرشدنا الى استعداد الأمة التركية للمدنية ما تركه لنا علماؤهم من المؤلفات النافعة . وأطلال مرصد سمرقند تشهد بشغف هذه الأمة بالعلم والعرفان ثم الأترى الفنلنديين والمجريين [illegible] . ونحن نعرف ان هاتين الامتين والترك يتفرعون من أصل واحد(*)

القصد أيها السادة من سرد جميع هذه الادلة التاريخية اثبات أنه ليس سبب انحطاط العرب والترك اليوم هو نقص في فطرتهم وضعف في استعدادهم . وأما الدين الاسلامي الذي ندين به فهو دين يخاطب العقل ويحث على العمل والحبوب ويبوط نجاح الانسان بعمله . ولكن سيرتنا تخالف هذه الاصول الكريمة الدينية مخالفة ظاهرة . وما السبب في هذه المخالفة أيضاً ؟

اني أرى أيها السادة أن الجواب على تلك الاسئلة المهمة وكشف النقاب عن أسباب انحطاط الامة الاسلامية لا يتيسر تيسراً كاملا لفرد أو فردين بل لامندوحة للبحث في ذلك عن عقد مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه علماؤنا وفضلاؤنا ثم يتفاوضون في الشؤون الاسلامية .

(*) قال الخطيب انه سقط من الخطبة ذكر الفرس والهنود وأهل الافغان وجاوه والمغرب والمراد ان فطرتهم قابلة للعلم والمدنية كالعرب والترك وسائر الاجناس

لا يفهمن أحد اني أومي باقتراح عقد مؤتمر على هذه الصورة الى غاية « بانسلاميزم » أي الجامعة الاسلامية التي يتشاءم منها الأوروبيون . وانما غرضي الوحيد من عقد هذا المؤتمر هو البحث عن أسباب انحطاط الامة الاسلامية وفتح أبواب النجاح في الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التي تصل بنا الى أخذ نصيبنا من المدنية الغربية الحاضرة .

ولا ننكر أنه كان لاكتشاف أمير كا ورقي الصناعات والميكانيكات في الغرب تأثير يذكر في افتقار الشعوب الاسلامية وفقدان وجوه الكسب . بيد أن العامل القوي في انحطاطنا — على ما أظن — هو الجمود على بعض العادات والقواعد الواهية والاوهام والخرافات التي ورثناها عن آبائنا وتسربت الينا من الأمم الاخرى بحكم الزمان . ومن أجل ذلك أبدي وأعيد ان حاجتنا شديدة الى المؤتمر العام لكشف الحجب عن الحقائق

فاسمحوا لي أيها السادة والامر على ما ذكر ان أقترح عليكم عقد مؤتمر اسلامي عام لا يتطرق قط الى البحث في الامور السياسية وتكون باب داره مفتوحة لكل أحد ممن يحبون استماع المذاكرات وتنشر خلاصات المناقشات في الصحف المنتشرة وأرى أن يعقد المؤتمر في عيد الفطر من السنة القادمة أو بعده .

ويحسن ان ينعقد هذا المؤتمر في الآستانة العلية أو في مصر المركز الثاني . ولا أرى سبباً يحملنا على عقد هذا المؤتمر الذي يتفاوض فيه بالمسائل المدنية (*) والعلمية في جنيف مثلا

أيها السادة : اذا وافقتموني على هذا الاقتراح فلابد من التمهيد لهذا الامر الخطير منذ الآن . فيتحتم علينا من اليوم تأليف لجنة من العلماء والمتنورين تشتغل بهذا التمهيد مثلا : تخبر هذه اللجنة الحكومة المحلية بجلية الامر وتضع للمؤتمر برنامجا اجماليا وتعين زمن انعقاد زمن المؤتمر وتتولى مراسلة من يرجون اليها من سائر الاقطار .

(*) لعل الاصل المراد «الدينية» فهي التي لا يليق تخصيص مثل جنيف بعقد مؤتمر لها

ولا ريب ان هذه اللجنة تفتقر إلى قدر من النقود . ولكني لا أظن مطلقا أن المانع يكون من الوجهة المالية

ومن منا يمتنع أيها السادة أن يتفضل على هذه اللجنة بباقي استطاعته من المال؟ هل يجيب المسلمون داعي هـذا المؤتمر؟ هذا سؤال أنا أجيب عن جزء منه قائلا أني على ثقة من أن خمسة عشر أو عشرين مندوبا من روسيا ومن ايران يجيبون الطلب .

أيها السادة : هذا ما أردت عرضه على حضراتكم في هذا الاجتماع . وقد استوقفتكم زمنا طويلا . فأسألكم أن تصفحوا عن هذا العاجز صفحا جميلا . اهـ



بحث في المؤتمر الاسلامي

﴿ التعارف المسلمين والبحث عن أسباب ضعفهم وطريق علاجه وتاريخ الدعوة اليه ﴾

أول صوت سمعناه في هـذا العصر يدعو المسلمين الى التعارف والاتحاد والتعاون في الرأي والسعي على تدارك ما حل بالمسلمين من الرزايا الاجتماعية التي هبطت بهم من ذلك الأوج الذي كانوا فيه الى الحضيض الذي صاروا اليه حتى سبقهم أهل الملل من الكتابيين والوثنيين في المدنية هو صوت الحكيمين الغيورين المجاهدين في سبيل الله الجهاد الذي لا يفضله جهاد في هذا العصر — السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده رحمهما الله تعالى وجزاهما عن نفسهما وعن الامة والملة خير الجزاء

للسيد جمال الدين مقالات كثيرة في تنبيه المسلمين من رقدتهم، وإعلامهم بأسباب تمزيق قوتهم ، ودعوتهم الى الوحدة، ودلالتهم على وسائل القوة ، وله من الدروس والخطب والمحاورات في ذلك ما هو مشهور بين العارفين، وان لم يقيد بالتدوين،

ولما اجتمع الشيخان في باريس وأصدرا جريدة «العروة الوثقى» كان قطب سياستهما دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم الى

ما ينهض بهم الى مجاراة الأمم العزيزة وكان من رأيهما أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وان يكون لهم مجتمع عام في الحجاز يأتمر فيه من يحضر الموسم من أعضاء جمعية العروة الوثقى فيما بينهم وما كانا يكتفيان في هذا الارشاد بما ينشر في جريدة العروة الوثقى بل كانا يكاتبان من يريانه أهلا لذلك في أقطار المسلمين . وفي الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام نموذج من كتبه لبعض أولئك الاعضاء (راجع ص ٤٨٨ — ٥١٢)

وقد جاء في فاتحة العدد الأول من جريدة العروة الوثقى بعد ذكر تنبيه عقلاء المسلمين وسعيهم في معالجة علتهم ما نصه :

« وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام في كل عام ، يجتمع اليه الشرقي والغربي ، ويتآخى في مواقفها الطاهرة الجليل والحقير ، والغني والفقير ، كانت أفضل مدينة تتوارد اليها أفكارهم ، ثم تنبثّ الى سائر الجهات والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل »

وجاء في خاتمة مقالة نشرت في العدد الخامس عنوانها (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) إرشاداً الى كيفية الوحدة في الإصلاح الديني ومنه « ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر ويجمعون أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان » الخ (فراجعه في ص ٢٥٤ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام)

وجاء في آخر مقالة منها نشرت في العدد العاشر عنوانها حديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ما يأتي (كما في ص ٢٩ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام)

« ولو ان العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لايصال أصوات بعض المسلمين الى بعض لأمكنهم ان يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الارض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل

مسلم ان يجيبه ما استطاع وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع اجيال المسلمين وعشائرهم وأجناسهم » الخ

هذه إشارة مما كتبه الاستاذ الامام ، باتفاق الرأي بينه وبين حكيم الاسلام، منذ ربع قرن فان العدد الاول من العروة الوثقى قد صدر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠١

٭٭٭

ثم انا لما أنشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ كتبنا في العدد الثلاثين و ٤٠ من السنة الاولى مقالاتي (الاصلاح الديني) اقترحنا فيها على مقام الخلافة تأليف جمعية إسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي وفصلنا ما يجب ان تقوم به هذه الجمعية من الاصلاح في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة ومن تلافي البدع والتعاليم الفاسدة (٭

وانما جعلنا هذا الاصلاح مقترحا على سلطان آل عثمان لبيان انه واجب عليه لأنه هو القادر على تنفيذ ذلك ويجب من يتصدى لذلك من دونه

ثم ان السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله تعالى) قدم الى مصر في سنة ١٣١٨ ونشر فيها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية بدون علم الحكومة العثمانية وأمير مكة المكرمة (الشريف) وان ذلك كان في موسم سنة ١٣١٦

كل ذلك كان الاصلاح الديني فيه ممزوجا بالاصلاح السياسي على النهج الذي جرى عليه المسلمون من اشتمال الدين على كل شيء • وكذلك كانت فكرة المقترح الأول السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ثم ان الاستاذ الامام وجه ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوربا وعودته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى إصلاح حال المسلمين باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين وتعليمهم فكتب ثلاث

٭) قد سرق المرحوم ابراهيم بك نجيب من هذا المقال وغيره من فصول المنار ماشاء وأودعه مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان (حماة الاسلام)

لوائح (*) احداها لاصلاح المملكة العثمانية عامة وقدمها الى شيخ الاسلام في الاستانة سنة ١٣٠٤ ليقدمها الى السلطان والثانية لإصلاح سوريا وقدمها الى واليها بعد ارسال الاولى الى الاستانة . والثالثة لاصلاح التربية الدينية والتعليم في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت إحداهما به لعملت مايعجز عن كل مثله جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين

ثم رأينا الاستاذ الامام في السنين الأخيرة من عمره قد استقر رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ومسالمة أهل السلطة سرا وجهرا والرضى منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجتماع الأهلية والقومية . فان عارضوا فالرأي أن يبذل الجهد في إقناعهم وكان يرى أن هذا متيسر للمصلحين العقلاء مع حكام المسلمين الأور بين اذا ظهر لهؤلاء أن الأمر لا سياسة فيه . ومن الأمثال المأثورة عنه « ما دخلت السياسة في عمل الا وأفسدته » وأنا نرى عقلاء المسلمين يكادون يجمعون على هذا الرأي

جاء مصر في هذه الأيام اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التركية التي تصدر في بغجه سراي من بلاد القريم التابعة لروسيا وتلا على جمهور عظيم من سكان مصر الخطبة التي اشرنا ترجمتها قبل هذه المقالة واقترح في آخرها تأليف مؤتمر إسلامي ينعقد في مصر فبحث عن الاسباب التي كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم واشترط أن لا تطرق مباحثه باب السياسة بل تحصر في الاسباب الاجتماعية والاقتصادية . وما هي هذه الاسباب الاجتماعية والاقتصادية؟

نحن نقول ان المسلمين كغيرهم من البشر مستعدون لكل ارتقاء وحضارة وان المانع لهم من ذلك أمران استبداد السياسة والجمود على التقاليد الدينية التي قيدتهم في كل شيء حتى في تصرفهم في بيوتهم وأموالهم . ونضرب لهم مثلا علماء الأزهر الذين يستنكرون أشد الاستنكار لبس الأحذية السوداء المعروفة

(*) راجع فصل اللوائح في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (ص٣٨٠)

هنا بالجزم (جمع جزمة) وقضاة الشرع الذين يأبون ان يكون في المحكمة الشرعية أبراس كهربائية لطلب الكتاب والمحضرين والخدم لأن هذا وذاك مما لا يليق بأهل الدين أولاً ولا يخلو من كراهة شرعية · فهذا المثل الصغير ينبي · عن أمر كبير، وان هزىء به الجهلاء، أو إشتغل به عن الموضوع أهل الأهواء، فهو كمثل البعوضة والذباب في القرآن

فالمسلمون لا يقدرون على مجاراة أمة مطلقة من القيود التي تقيد الفكر أن يأخذ مداه في كل علم ورأي وتقيد الارادة أن تنفذ كل عمل يظهر للمفكرين انه نافع وهم مقيدون فكرًا وارادة إما بالتقاليد الدينية وإما بالسياسة الاستبدادية . فعمل المؤتمر محصور بالطبع في فك القيود التي تقيد المسلمين حتى يكونوا أحرارا مستقلين، فاذا حظر أهله على أنفسهم البحث فيما هو سياسي منها بقي لهم ما هو ديني فقط ومنه ما يتعلق بحكامهم ومنه ما لا يتعلق بهم

مثال ذلك الشركات المالية التي هي أعظم أركان الثروة في هذا العصر ولا أذكر فيها مسألة فرضية بل مسألة واقعة هي في تاريخ مصر الحديث أصل الانقلاب السياسي والعمراني، ولا أفتات على المسلمين فيما أقوله فيها فتاوى أو استنبط خلافهم فيها استنباطا، وانما أروي فيها رواية تثبت ما عليه المسلمون من القيود التي تمنعهم من مجاراة غيرهم في تحصيل الثروة التي هي أساس العمران

زرت وزير مصر الأكبر رياض باشا فألفيت في حضرته جماعة من أكابر المسلمين منهم العالم الازهري والمهندس والمؤرخ والطبيب ومن كان ناظرا لبعض المدارس العليا وكل واحد منهم يعد من أكبر رجال طبقته وأعلمهم وهم يتفاوضون في مسألة شركة ترعة السويس وأن شراء أسهمها غير جائز شرعا لأن عملها غير مشروع وكان أشدهم معارضة في ذلك العلامة الأزهري (طبعًا) ولا أحب أن أذكر شيئا من أدلتهم المبني بعضها على ان المال لا يملك وان أوراق السهام لا قيمة لها في نفسها الخ وما عجبت لقول أحد كعجبي من موافقة واحد منهم لهم في ذلك أعهد منه الميل الى كسر مقاطر التقليد ورأيته في هذه السنة يسعى في تأسيس بنك أهلي وهو أشد من أعرف اهتماما بمشروع المؤتمر الاسلامي . وقد جهرت هنالك باستغراب جعل هذه المسألة موضعا للبحث وجزمت بجواز عمل الشركة

وشراء سهامها مصرحا بأن أوراق السهام ليست هي التي تقابل الثمن وإنما هي مثل أوراق الصكوك والحجج التي تكتب لمن يشتري عقارا أو يقرض آخر مالا ، جهرت بهذا ولكنني لم أسمع من أحد كلمة موافقة ولكنني أظن أنه أعجب بعض الحاضرين ورأيت الوزير هش له

فاذا كان أرقى مسلمي مصر الذين يعدون الآن في مقدمة شعوب المسلمين علما وقربا من المدنية يتباحثون حتى اليوم في أعلى محافلهم الاجتماعية في شركة ترعة السويس ويقولون بعدم جواز شراء سهامها وهي هي السهام التي باعها وارثها أميرهم اسماعيل وأعطاها لأوروبا فخاربتهم بها واحتلت بلادهم وملكت عليهم أمرها ، فهل يلام مسلمو مراكش اذا قال عالمهم الكتاني إن شر عمل عمله محمد علي باشا هو بناء القناطر الخيرية وكان ينبغي أن ينفق المال الذي أضاعه في بنائها على بناء المساجد ؟ ؟ كلا ان علل المسلمين واحدة ولو كان محمد علي مقيدا بالتقاليد الدينية لما أنشأ القناطر الخيرية

ان شركة ترعة السويس وأمثالها من أمور العمران التي لم تكن معروفة في عصر التنزيل فيرد فيها كتاب أو تمضي بها سنة ولكن الفقهاء المتقدمين قد وضعوا أحكاماً للشركات وغيرها من المعاملات المتعارف عليها في عصرهم فجمد المتأخرون عليها اذ عدوها دينا يجب اتباعه في كل زمان ومكان فهل يسهل على المسلمين الذين يريدون مجاراة الأوروبيين في الكسب ان يدرسوا قبل كل عمل هذه الكتب الفقهية الضيقة الواسعة ويتقيدوا بها ثم يجرون وراء المطلقين من القيود فيلحقون بهم ويطمعون في مسابقتهم ؟ لا يسهل الجواب عن هذا على فقيه يعرف الاحكام المدونة في هذه الكتب ولا يعرف حال العصر في الاعمال المالية والاجتماعية ، ولا على رجل ماليّ أو « متمدن » كما يقال لم يقرأ كتب الفقه ، وانما يسهل على من عرف الامرين ان يجيب عنه بحق ولكن جوابه لا يكون الا سلبيا

أعرف بمصر كثيرا من المسلمين المدنيين يرون انه لا علاج لتأخر المسلمين عامة الا نشر العلوم العصرية ومحاولة تعميمها بقدر الطاقة وترك الدين وشأنه بحيث لا يتعلم ولا يدافع عنه ولا يعترض عليه حتى يحكم العلم والزمان فيه حكمها ومن

هؤلاء من هو مسلم جنسية فقط يرى ان الدين عقبة يزيلها العلم ومنهم من يؤمن بالله ورسوله وكتابه ويرى ان الدين قد اصطبغ بغير الصبغة التي أنزلها الله تعالى وان العلم العصري ينتزعه من سلطة المحافظين على الصبغة الحادثة ويساعد على إعادته الى أصله فاذا قام مصلح ديني يمكنه ان يهدي المتعلمين العلوم العصرية الى حقيقة الاسلام ولا يمكنه أن يهدي غيرهم من علماء الصبغة الحديثة الذين والمقلدين لهم وهم جماهير العوام الآن يتعلموا على الطريقة الحديثة

ونحن نقول أنه يمكن الجمع ابتداء بين حقيقة الاسلام وصبغته الإلهية وبين جميع العلوم والفنون والاعمال التي عليها مدار المدنية العصرية وان إصلاح حال المسلمين بغير هذه الطريقة متعذر ونحن مستعدون بعون الله تعالى وتوفيقه لمناظرة كل من يخالفنا في هذا الرأي

وجملة القول ان المسلمين لا يجارون غيرهم من الامم في ميدان المدنية والعمران الا اذا أطلقوا من القيود السياسية والدينية التي قيدت استعدادهم الفطري وليس في نصوص كتاب الله المنزل ولا في سنة رسوله الصحيحة المتبعة شيء من هذه القيود الدينية بل فيهما الاطلاق المكمل للفطرة وانما القيود فيهما بدع محدثة وتقاليد مستنبطة من أقوال البشر وقواعدهم تعرف بالاحكام الاجتهادية

فاذا حظر المؤتمر على نفسه البحث في القيود السياسية انحصر عمله في القيود الدينية أي التقاليد والبدع التي فشت في المسلمين باسم الدين الا ان يكون غرض أهله الرقيّ الدنيوي بدون دين

واذا انحصر عمله في حل القيود الدينية دون السياسية خشية أن تقاوم المسلمين حكومات أوربا المستعمرة لبلادهم فيجب أن لا يدخل في أعضائه أحد من المشتغلين بالسياسة لتأييد ملك أو أمير لأن ذلك يجعل المؤتمر في موضع الريبة والظنة عند تلك الحكومات ولذلك صرح الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد على مسمع من نحو خمسين رجلا ممن دعوا للبحث في المؤتمر بأن من مصلحة المشروع ان يخرج هو وحافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر ونفر آخرون من لجنة المؤتمر فلا يكونوا من الاعضاء العاملين فيه

ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الاساسية الاولى للاصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على المجمع عليه من المسلمين لاسيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة – وتعني بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في كل ركعة مرة ويسجد مرتين، ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف –

ذلك ان المؤتمر عام لجميع المسلمين وفيهم السني السلفي وغير السلفي والشيعي والاباضي ومن السنية الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي من آله وأصحابه رضي الله عنهم وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضاءه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به (راجع التفسير من هذا الجزء وما قبله)

ثم يعرض ما يقرره من الاصلاح الاجتماعي الموافق للاجماع على شعوب المسلمين مبيناً لهم أن من عمل به لم يكن عمله منافياً لأصل الاسلام الذي لا خلاف فيه فمن اكتفى بذلك وعمل به فيها ونعمت ومن حاول تطبيقه على المسائل الاجتهادية في مذهبه وتقيد بها فهو وشأنه

بهذه الطريقة يفيد المؤتمر المسلمين أكبر فائدة دينية بما يعلمهم من الأصول المتفق عليها بين المسلمين التي بها يكون المسلم مسلماً أخاً في الدين لثلاث مئة مليون يوافقونه في اعتقاده وأكثر المسلمين يجهل ذلك بالتفصيل ولا يكون جانياً على مذهب أحد ولا حائلاً بينه وبين عالم يقلد رأيه ولكنه يعلمه اذا كان متبعاً لمذهب ان ما ينفرد به في مذهبه لا ينافي أخوة الاسلام بينه وبين من لا يتبع مذهبه

يتيسر هذا المسلك لأعضاء المؤتمر الا اذا كان فيهم العلماء بالكتاب والسنة وتاريخ الاسلام والعلماء بشؤون العصر وما تقتضيه المدنية من العلوم والفنون والاعمال بحيث يكون عند علماء الدين من علوم الدنيا وعند علماء الدنيا من العلم بالدين

مايمكن الفريقين من الاتفاق على الجمع بين الدنيا والدنيا كما تقتضيه مزية الاسلام الذي هو الدين الموافق لمصلحة البشر في كل زمان ومكان

يقول بعض الباحثين في مسألة المؤتمر انه يجب ان يكون في أعضائه بعض الشيوخ من علماء الرسوم المقلدين للمذاهب الاربعة ليثق بما يقرره عوام المسلمين، ويرد عليهم آخرون قائلين ان الاصلاح لا يأتي من العوام وانما يأتي من خواص العقلاء وان هؤلاء المقلدين اذا وجدوا في المؤتمر محافظين على تقاليدهم فهم الذين يحولون دون الاستفادة منه ومن يهتم بمداراة العوام لا يأتي منه اصلاح اذ يكون العوام حينئذ أئمة له في الحقيقة وان كان يتوهم انه سيؤمهم بالحيلة فالمصلح الحقيقي هو الذي لا يخاف في بيان الحق لومة لائم ولا نفور عامي ولا مقاومة خاصي بل يقرر الحق ويدعو أمثاله من العارفين الى موازرته وموالاته والحق يعلو ولا يعلى وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه

قلت قال عاقل من العظماء الذي لا يفهم معنى « مؤتمر اسلامي » يتصدى للقيام به من لم يبحث في عمره يوما واحدا عن الاصلاح الديني ولا عن أسباب ما ألم بالمسلمين وانما يكون هذا المؤتمر مستقلا اذا تصدى للدعوة اليه من جعلوا جل همهم البحث عن أحوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وأسباب ما عرض لهم في دينهم مما ليس منه كفلان وفلان فهم الذين يجب ان يختاروا من يرونه أهلا لأمثال هذه المباحث

ويقول بعض أهل البحث والرأي أن الشعوب الاسلامية لما تستعد لمثل هذا المؤتمر فهو غير ممكن الآن من حيث طبيعة الاجتماع وان كان ممكنا في نظر العقل يعني أن الإصلاح المطلوب يرجع الى مسائل يقل العارفون بها في بعض الاقطار ويعز اجتماعهم واجتماع غيرهم لا يفيد المطلوب . واذا اتفق أن اجتمعوا فلا بد أن يمتزجوا بغيرهم ممن لا يوافقهم على رأيهم فاذا كان لديهم من الشجاعة ما يحملهم على الجهر بالحق يعلمونه غير مبالين بطعن الطاعنين فلا يرجى أن يتقرر ما يرتأونه ور بما تقرر رفضه واعلان مخالفته للدين فيكون ذلك مبدأ للاصلاح وعقبة في طريقه يقيمها المؤتمر فينعكس الأمر ويتبدل الوضع ويكون المؤتمر ضارا لا نافعا

ويقول آخرون ان أقل فائدة يجنيها المسلمون من المؤتمر وراء تعارف أهل الفضل والرأي منهم هو ان ما يتفقون عليه يكون جديرا بالقبول ولا يمكن أن يتفقوا

كلهم أو أكثرهم على شيء ضار فاذا لم يهتدوا الى كل المطلوب من الاصلاح فلا بد أن يهتدوا الى بعضه وما يفوتهم منه في الاجتماع الأول يرجى أن يهتدوا اليه في الاجتماعات التي تليه وأمور الاصلاح لا تكون الا بالتدريج · ولكن هذا يتوقف على أن يقوم بالأمر أهله

ومن الناس من يرى أن اجتماع المؤتمر يتوقف على اذن الحكومة ومساعدتها ولذلك اقترح داعيته اسماعيل بك فيما اقترح استئذانها وماضمنه من اجابة طائفة من الروسيين والايرانيين مبني ذلك والحكومة المصرية لا تأذن بهذا المؤتمر ولا تساعد القائمين به لاسيما اذا كان فيهم من يشتغل بالسياسة ومن يتهم بالغرض لأنه ممن لم يعرف عنه قط البحث في أمور الدين وطرق اصلاح المسلمين كبعض المعزولين والمتقاعدين (الحالين على المعاش) واذا لم تأذن به الحكومة إذا ترسيا فان سائر الحكومات لا تأذن لمن يدعون اليه بالسفر لحضوره ، وأهل الرأي والفضل لا يسافرون لمثل هذا الأمر بدون اذن حكوماتهم لئلا يكونوا عندها في موضع التهمة

ويقول آخرون ان انعقاد هذا المؤتمر لا يتوقف على اذن الحكومة ولا على مساعدتها وانما اذنها ومساعدتها مزيد كمال فيه اذا أرادته منعه فلا شك في قدرتها على ذلك ولكنه مما لا يظن فيها اللهم الا اذا حصل في الاجتماع شغب أو فتن مما تمنع مثله كل حكومة مهما كانت عريقة في الحرية

أما سلطان المسلمين الأعظم فلم أر أحدا من أهل الرأي يشك في استيائه من هذا المؤتمر وحرصه على منعه اذا أمكن · وقد جاء من أخبار الاستانة في بعض الجرائد ما يؤيد هذه الآراء وأن السلطان سيكتب الى الأمير والمعتمد الخاص (مختار باشا الغازي) بتلافي ذلك . وأنه أمر بمنع الحجاج بالتعريج على مصر ، و يزعم بعض الناس أن الأمير كوتب في ذلك بالفعل · وكراهة السلطان المؤتمر مما يجعله عند كثير من المسلمين مكروها يخشى ضره ولا يرجى نفعه ويحول دون نشر الجرائد العثمانية شيئا من أخباره قبل انعقاده بله ما يقرره ان هو انعقد · فلا معنى لجعله تحت حمايته

هذا أهم ما خطر لنا بيانه الآن من فكرة الدعوة الى مؤتمر اسلامي وتاريخها وما يجب أن يكون أساس المؤتمر المقترح الآن والآراء التي تستحق الاعتبار فيه ·

﴿ النسخ في الشرائع الالهية ﴾

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطبيب في مستشفيات سجن طره

النسخ هو إبطال حكم لبدل أو لغير بدل . وهو واقع في جميع الشرائع الالهية والوضعية خلافا لمن أنكر ذلك من الجهلاء . اما الشرائع الوضعية فوقوعه فيها مشاهد معروف . وأما الالهية فشواهد وقوعه فيها عديدة أغنتنا عن إيرادها مؤلفات كثيرة بين الأمة الاسلامية أشهرها كتاب (إظهار الحق) لمؤلفه العلامة المحقق رحمة الله الهندي . فقد أتى فيه بما يفحم كل مكابر ويخرس كل عنيد .

يقع النسخ على ضربين (١) نسخ بعض شريعة رسول سابق بشريعة آخر لاحق (٢) ونسخ حكم في شريعة بحكم آخر فيها . والسبب في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان . فما يلائم البشر في زمن طفوليتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم أو شيخوختهم . كما أن ما يوافق الانسان في صحته قد لا يوافقه في زمن مرضه . فلذلك اقتضت حكمة الشارع العليم أن ينسخ من شرائعه ما أصبح غير مناسب . قال تعالى (١٣: ٣٨ لكل أجل كتاب ٣٩ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

فالنسخ عندنا لا يقع إلا في الاحكام (الاوامر والنواهي) ولا يقع في القصص أو في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك كما انه لا معنى لوقوعه في الالفاظ . فلسنا ممن يسلم القول بنسخ اللفظ باللفظ كما يتوهمون . أو بنسخ لفظ وابقاء حكمه كما يزعمون اذ لو سلم ذلك لكان دليلا على جهل الشارع أو خطأه أو عبثه سبحانه وتعالى واسع العلم والحكمة عما يصفون

قدمنا ذلك لنعلم أن النسخ لمقتض أو لحكمة لا عيب فيه عند العقل ، وهو واقع بالفعل ، فانكاره جهل ، أو مكابرة المحسوس

كما وقع النسخ في الشرائع السابقة ، كذلك وقع في الشريعة الاسلامية لمقتضيات الاحوال في الامة العربية زمن التشريع . فكان للشريعة اذ ذاك صورتان :

(١) صورة تمهيدية وقتية

(٢) وصورة ثابتة باقية

فالصورة الاولى هي التي صارت منسوخة لا يعمل بها . والصورة الثانية هي التي لم تنسخ ومطلوب الناس أجمعين بالعمل بها . أما الصورة الاولى فنجد لها أمثلة عديدة في الاحاديث النبوية . وأما الصورة الثانية فأمثلتها كثيرة في الكتاب (القرآن الشريف) .

واذا فتشنا الاحاديث المنسوخة وجدنا بعضها نسخ بأحاديث مثلها والبعض الآخر نسخ بالقرآن . واذا فتشنا القرآن لا نجد فيه ما نسخ بقرآن مثله ولا ما نسخ بحديث كما بينا ذلك في مقالة لنا نشرت سابقا في المنار (في الجزء الثاني من المجلد التاسع صحيفة ١١٠) . فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رضي الله عنه وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال بعض أئمة المفسرين كأبي مسلم الأصفهاني . وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل

الكلام في الناسخ والمنسوخ في الشريعة الاسلامية نشأ بين المسلمين منذ نشوءها إذ لا يمكن الاستغناء عن البحث فيه بعد معرفة وقوعه فيها . فكان إذا سمع أحد الصحابة حكما وعلم ما يخالفه بحث في أيهما نسخ الآخر حتى يتضح له ما يجب العمل به فلا غرابة اذا سمعنا فيما روي عنهم أن فلانا منهم قال ان هذا الحكم منسوخ بذاك

وقد نعثر في الروايات على قول من يقول بخلاف قوله وقد لا نعثر . ولكن جميع هذه الروايات لا يمكن القطع بصحتها وخصوصاً ما كان منها واردا في تفسير القرآن الشريف لكثرة المكذوب منها حتى قال أحد الائمة وهو الامام أحمد « ثلاثة لا أصل لها التفسير والملاحم والمغازي » ولا يخفى على أحد قدر أحمد في علم الحديث . ولذلك لا يمكننا معرفة رأي الصحابة في موضوع النسخ في القرآن على سبيل اليقين . وغاية ما يظهر لنا من الآثار المختلفة على علاتها أن بعضهم يقول بجواز وقوع النسخ فيه كعمر وابن عباس . والبعض الآخر كأبي بن كعب ينكر ذلك « أو على الاقل ينكر جواز نسخ أي عبارة من عبارات القرآن الشريف ان سلم نسخ حكمها » راجع ما قلناه في المقالة السابقة . على أن رأي أي واحد منهم

لايجوز الأخذ به بدون دليل .

والذي نراه نحن أن العقل لا يستقبح وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع مالم ينسخ . أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ذلك بياناً ينقل متواتراً ويتفق عليه عملا بين المسلمين . واذ لم يكن هذا ولا ذاك فالقائل بالنسخ يعرض الدين لطعن الطاعنين «واستهزاء المازئين، وعبث اللاعبين» الذين جعلوا القرآن عضين «فيعملون ببعضه ويتركون بعضه الآخر اتباعاً لأوهامهم وأهوائهم فما جزاء من يفعل ذلك منهم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون

ومن العجيب دعواهم النسخ في الآيات . مع عجزهم عن بيان الحكمة في نسخها وليس عندهم من دليل عليه عقلي أو نقلي . والله تعالى يقول في شأن القرآن (١٨: ٢٧ لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة « أي لفظ مبدل » في سياق النفي تعم

يقول المحققون منهم [illegible] أمكن التفسير بدونه وجب المصير إلى ذلك التفسير ، وأي آية في القرآن لا يمكن تفسيرها بدون هذه الدعوى الباطلة ؟ فهذا إقرار عظيم بأن القرآن لا نسخ فيه حيث إنه يمكن تفسير جميعه بلا حاجة إلى ما يزعمون . وكيف ينسخ وهو لا يجوز التبديل فيه ؟

واذا كان القرآن (١) لم ينص على الآيات المنسوخة (٢) ولم يرد عن رسول الله نص قاطع بذلك (٣) وما روي عن أصحابه مختلفاً وغير يقيني (٤) ولم يتفق المسلمون على الآيات المنسوخة بل ولا على القول بالنسخ (٥) واذا كان لا حاجة اليه في التفسير (٦) ولا حكمة تظهر فيه اذا كان كل ذلك فبأي شيء يتمسكون ؟

أما قوله تعالى (٢: ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها) وقوله (١٦: ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية) فقد فسرناها في المقالة السابقة بما يشفي العلة ويروي الغلة . ونزيد الآن على التفسير أن الآية الثانية هي من سورة النحل . وقد نزلت هذه السورة قبل ايجاب القتال على المؤمنين أي في مكة أو في أوائل مدة المدينة (*) كما تدل على

(*) الظاهر أنها نزلت قبل السنة الثانية من الهجرة أي قبل اتيان النبي بأحكام الشريعة

ذلك الروايات الكثيرة وكذا قوله تعالى فيها (٤١:١٦ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله في آخرها (١٢٦:١٦ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ١٢٧ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) واذا كان نزولها في مكة فالمراد بالهجرة في الآية السابقة هجرة الحبشة . وعلى كل حال إذا كان نزولها في مكة أو في أول مدة المدينة فأي حكم من أحكام الشريعة الاسلامية كان نزل في تلك المدة ثم نسخ حتى يرد فيها قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) ؟ الظاهر أن القول بأنه مفتر انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة أو القليل منهم الموجود بمكة حينما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحل ما حرمته الشريعة الموسوية من المطعومات كما في سورة الانعام المكية الذي ورد فيها قوله تعالى (١٤٥:٦ قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة — الى قوله — ١٤٦ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ١٤٧ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) وقد أشار تعالى في سورة النحل الى هذه الآيات بقوله (١١٨:١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) بعد الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقليل وقد كذبوه كما أخبر فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا : واذا أتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما أنت كذاب تختلق الاحكام وتنسبها الى الله : الى آخر الآيات . أما تفسيرهم لهذه الآية وآية ما ننسخ فهو يخالف السياق في كل منهما . وينافي قوله تعالى (٢٧:١٨ أتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) الآية

والخلاصة أن القرآن لا نسخ فيه مطلقاً . أما السنة القولية (الاحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى . وعندنا أنه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن لانها لم تكن الا شريعة وقتية

تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية ولذلك كانت قولية نهيت الصحابة عن كتابتها ولم يعاملها النبي عليه السلام ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر (*) فلا يعملون بها كما بينا ذلك في مقالات لنا سبقت في المنار. وان انكر علينا منكر ونسبنا للمروق قلنا له :—

(١) اذا كان نسخ القرآن بالسنة غير جائز كما هو مذهب الشافعي (٢) واذا كان تخصيص عموم القرآن بها لا يجوز كما هو مذهب داود وأهل الظاهر والخوارج (٣) واذا كان العمل بالظن مذموماً في القرآن الشريف . وكل ماورد فيها من الأحكام ظني باجماع علماء الحديث لأنها أخبار آحاد — اذا كان كل ذلك مسلما به بين المسلمين بعضهم أو جميعهم فأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدعته حتى أرمى بالمروق ؟!

أنا لا أنكر ما للأحاديث من الفوائد العلمية أو التاريخية أو اللغوية أو الادبية ولكن كل ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف. الدين الذي يكفر منكره شيآن : القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم. لأن انكار المتواتر مكابرة وجحود فلا يجب التعويل الا عليهما . ولا الرجوع الا اليهما (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرد الى الله يكون بالرجوع الى كتابه . والى الرسول بالرجوع اليه في حياته أو الى ما أيقنا أنه منه بعد وفاته . ولم يقل القرآن الى من ظننتموه الرسول أو ما حسبتموه صدر منه . فلا يمكن الايقان الا بالمتواتر أو بالدليل العقلي

لم يتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله الا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين لأن الله أراد أن تكون سنن الاقوال شريعة زائلة . أما سنن الاعمال المتواترة فقد أراد الله أن تبقى بين المسلمين . لايضاح الكتاب ولتصوير ما أراده بالفعل ككيفية الصلاة والحج . لأن الايضاح بالعمل أبلغ من كل قول . ولذلك أجمل القرآن الكلام في هاتين المسألتين اكتفاء بعمل النبي صلى الله عليه

(*) حاشية الكاتب — لا يرد على ذلك وجود الاحاديث الكثيرة بينهم لأنها كلها تقريباً مشكوك فيها

وسلم لما بين جماهير الناس الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب . وهما مما يحسن اتيانه في الجماعة ، بل لا يصح اتيان أحدهما (أي الحج) الا فيها . فلا خوف عليها من الضياع أو النسيان . ولا يجوز أن يتفق المسلمون على تحريفهما ووضعهما فقد بلغتنا ولله الحمد من التواتر ما يمنع كل ذلك .

الحق أقول لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ماداموا جامدين على الاحاديث ، (وقد انقضى زمنها) كافين بالروايات ، وهي ممتلئة بالأكاذيب والأوهام والخرافات . وهي أعظم سبب ضلال كل أمة في عملها واعتقادها

ألا فلنحارب الترهات ، ولنقض على الضلالات ، ولنمت على ديننا : كتاب الله وما بين منه بالسنة العملية المتواترة ، فلا نحيا الا بهما في الدنيا والآخرة .

(تذييل) ذكرنا في الصفحة ٩١٣ من المجلد التاسع من المنار ملخص معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للاحاديث . ونذكر الآن ملخص آراء أئمة المسلمين فيها ليعلم القارئون أننا لم نفتحر شيئا في الدين بقول :

إن الاحاديث التي رويت متواترة لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وهي مع ذلك لا دخل لها في أحكام الشريعة الأساسية كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وحديث « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وسائر الأحاديث الأخرى رويت آحادا . و بعضها عندهم منسوخ . وأما التي لم يقولوا بنسخها فهاك آراءهم فيها : -

(١) رفض أبو حنيفة مع قربه من زمن الرسول (ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠) جميع الأحاديث لعدم صحتها عنده الا بضعة عشر حديثا (راجع كتاب روح الاسلام) . وعول هو واتباعه في مذهبهم على الكتاب والقياس فقد . وهاطل الحديث

(٢) قدم مالك رضي الله عنه عمل أهل المدينة على الحديث والسنة عند السلف هي الطريقة المتبعة عملا لا الاحاديث

(٣) أنكر الشافعي جواز نسخ القرآن بالاحاديث ولو كانت متواترة

(٤) أنكر الامام أحمد صحة الأحاديث التي رويت في تفسير القرآن الحكيم

(٥) قالت الظاهرية انه لا يجوز تخصيص عموم القرآن بها . وإن العمل بالخبر

واجب مطلقا بل هو مذموم ثانية والعمل بالظن مذموم في القرآن الشريف

(٦) رأي المحققين من علماء المسلمين أنه لايجوز الاخذ بها في العقائد،

فهذه هي آراؤهم فيها كما في كتب الأصول . فأي شيء ابتدعته أواخترعته أو خالفت فيه الاجماع اذا كان ماذكرت هو حكمها عند أئمة المسلمين . فليعرفْ المنصفون، وليتدبر العاقلون ، (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) م؟

(المنار) ان لنا قولا في هذه المسائل ننشره في جزء آخر ونقبل من العلماء الباحثين كل مايرد الينا في ذلك لايشترط فيه الا التزام مايليق بالعلماء من الأدب والنزاهة وبناء المناظرة على احترام اعتقاد المناظر

خطبة اسماعيل بك عاصم

المحامي

التي ألقاها في الحفلة (*) التي أعدها [illegible] أصحاب المجلات المصرية ومحرريها احتفالا باتمام مجلة المنار السنة العاشرة من عمرها

(مساء ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧)



أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على من اجتباه، فان براعة استهلالي هي تقديم الشكر والثناء لحضراتكم على اجابة دعوتي وتشريف هذا الاحتفال الادبي بإكمال مجلة المنار الزهراء لصديقنا السيد محمد رشيد رضا السنة العاشرة من عمرها

*) راجع خبر الحفلة في باب الأخبار والآراء

ولعل هذه أول مرة قام فيها لسان عربي مصري بمثل هذه الحفلة ودعا اليها أعاظم أصحاب المجلات وأفاضل محرريها سروراً وابتهاجاً بمجلة علمية أتمت العقد الأول من عقود الاعداد . وأرجو أن يكون هذا الاجتماع فاتحة لامثاله في المستقبل

اني يا حضرات الافاضل عرفت مجلة المنار في السنة الثانية من نشأتها اذ نبهني اليها صديقي المرحوم مُولابك توما الاصولي الشهير وكان في يده نسخة منها قال لي انها أحسن مجلة دينية، وأفصح صحيفة عربية أدبية ، فانعمت النظر فيها فألفيتها جديرة بالمطالعة والادخار وحينئذ تاقت نفسي لمعرفة محررها وقابلته فوجدت منه انساناً فاضلاً أديباً ، وكاتباً عالماً أريباً ، كما تشاهدون وتشهدون ، فعاشرته ثمانية أعوام وهو يزداد كمالاً في محاسن أخلاقه، وزاد عليه جمالاً بالمباحث الاخلاقية العالية، والافكار الصحيحة البعيدة عن التقليد الاعمى ، والمقالات الحكمية العمرانية ،من الوجهتين الدينية والمدنية ، فازداد حبي له كما ازداد اعجابي بثباته بالرغم من مقاومة الذين لا يفقهون ما يقول أو يفقهون قوله ولكنهم يثيرهم عليه الجهل الذي قد يثور بأهله البسطاء على المصلحين الاذكياء، فازدادت مجلته انتشاراً، ولاقت عند أهل الحجا اعتباراً،حتى غبطه عليها محبوه،وانما يعرف الفضل ذووه

ومن المقرر أيها السادة ان الصحف هنا قسمان أحدهما سياسي ويغلب عليه اسم الجرائد . وهي تبحث في الغالب عن الحكومة وعلاقتها بالامة والدول ، وعن الامة وعلاقتها بالحكومة ، وعن حقوق كل منها التي لها أو عليها للاخرى ، وتراقب ما يتجدد من التقنين والتشريع، وتنبه الى العدالة

والاعتدال، والانتصار للمظلوم ،والأخذ بيد صاحب الحق المهضوم،ونحو ذلك . فهي نعم المرشد الامين اذا أخلصت في النصح والارشاد، ولم تسلك سبل التحيز والهوى والعناد

والقسم الثاني علميٌّ أدبي ويغلب عليه اسم المجلات . وهي تبحث عن تقويم الاخلاق ، وتهذيب النفوس ،وتثقيف الطباع ، وتصحيح الافكار ، واحياء اللغة التي بها حياة الامة ، وانماء الصنائع ، والتنبيه الى المخترعات المفيدة، وبث روح العلوم النافعة الجديدة، الى غير ذلك مما يرقي العرفان ،ويزداد به العمران

وهذه ربما كانت أنفع للامم وخصوصاً للحديثة العهد منها بالمدنية لانها مهما تضاربت أفكارها ، وتسابقت أقلامها ، فهي انما تكون للبحث في مسائل علمية اجتماعية، [illegible] وصناعية [illegible] فلا يحدث عن احتكاك بعضها بالبعض غير النتيجة [illegible]

ولهذا وجب على أرباب المجلات ان يتتبعوا الرذيلة فيطمسوا رسومها، ويتعاونوا على قلع جذورها من النفوس الضالة، بأوتوامن الهداية والحكمة، والموعظة الحسنة وقوة البرهان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) — وان يتبعوا الفضيلة من طريق الشرائع السماوية ، والنواميس الاجتماعية، ويثبتوها في النفوس حتى تنطبع في مرآة أخلاق الامة وشعورها

(والناس تسعد بالاخلاق ما صلحت

فان هم فسدت أخلاقهم فسدوا)

فاذا أنتم قمتم بهذه الواجبات ،وأديتم المطلوب من مجلاتكم حق الاداء، فاستنارت بها عقول الامة، وارتقت أفكارها ، وعظمت نفوسها، فعرفت

قيمة الاجتماع، وقوة التعاون، فأوجدت المدارس والمستشفيات، والمصارف والكليات، والجامعات العالية بقدر الحاجة اليها، ثم ذاقت لذة القيام بنفسها، وانفت اجابة كل داع يضلها عن السبيل السوي، - هنالك يتيسر لها ايجاد المجالس النيابية، واللجان التشريعية، التي تطلبها الجرائد السياسية، ويتمناها كل محب لنفسه ووطنه

لا يخفى على حضراتكم ان من الادلة على حياة الامة وارتقائها أن تعرف قيمة رجالها العاملين لنفعها، فتقدرهم حق قدرهم، وتشجعهم على أعمالهم حساً ومعنى، فيذوقوا من حلاوة الاحترام والاكرام، ما يقوي منهم الآمال بالاصلاح العام، فيزدادوا نشاطاً وتفننا في عملهم، ويقتدي بهم غيرهم، فيزداد ارتقاء الامة بقدر زيادة النابغين فيها،

لهذا رأيت من الواجب على صديقي «السيد محمد رشيد» ان احتفل باكمال مجلته (المنار) للسنة العاشرة من ظهورها في هذا اليوم المبارك ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ فقد كان في مثله ظهور أول عدد منها سنة ١٣١٥ ويحسن بي ان أعرض على نظركم هذه النسخة من العدد الاول المذكور واقتطف منه زهرات متفرقة يتأرج نادينا بعرفها

قال في المقدمة الافتتاحية - أيها الشرقي المستغرق في منامه قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض واستولى أخوك الغربي المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار، وأولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور، واخترق الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساحة الهواء، وجمع بين أقطار الارض، بل عرج للقبة الفلكية فعرف الكواكب وموادها - الى أن قال -

وان هذا العصر عصر العلم والعمل فلا تضيع أوقاتك بالتخيل والتفكر والاماني والتشهي (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)

ثم قال ان من وظيفة هذه المجلة الحث على تربية البنات والبنين واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الاعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتسليم بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الاعمى علما وايقانا

ومن غرضها رد الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم أنها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية ، واقناع أرباب النحل المتباينة ، بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان ، وان التعارف والمناصبة تفضي الى خراب الاوطان ، وتقضي على هدي الاديان . فهذا ما اردت ان ابثه لكم من ازهار هذه المقدمة

ومن أبدع ما رأيته أن سعادة العالم الفاضل أحمد فتحي باشا زغلول استشهد في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصفحة السابعة بشذرات من فاتحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها وحازت الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها

فهذا ما دعاني أيها الاخلاء لاتخاذ هذه المناسبة اللطيفة ، والمصادفة الجميلة ، وسيلة حسنة للتشرف بدعوة حضراتكم لنجتمع على مائدة السمر الادبي فوق أرائك المحبة والصفاء فيهنئ بعضنا البعض على هذا الاجتماع الاخوي المفيد ، ونهنئ كلنا هذا الاخ العزيز المحتفل به على توفيقه لهذه الخدمات التي نوهنا عنها، ونسأل الله أن يمنحه الصحة ويزيدني

عمره وعمر عجله ليزداد به النفع العام، وهذا جهدما يستطيع مثلي عمله والسلام

(لاخيل عندي أهديها ولا مال ... فليسعد النطق ان لم تسعد الحال)

ثم اني أشكر حضراتكم بلسان الامة المصرية على جزيل فوائد مجلاتكم الزاهرة فانها طالما نشرت من اريج دوحها ما تعطرت به النفوس وأتمنى ان يتكرر مثل هذا الاجتماع ولو مرة في كل شهر لتبادل الآراء في ما يكون به زيادة ترقية الافكار

وفي الختام ابتهل الى الله ان يؤيد مولانا الخليفة والسلطان الاعظم بروح من عنده وان يوفق خديوينا المعظم ورجال حكومته وعقلاء الامة لما فيه نفع العباد وخير البلاد آمين



(٣)

﴿ رأيه في العلوم الدنيوية ﴾

قال في بيان العلم الذي هو فرض كفاية من الباب الثاني من كتاب احياء العلوم الذي بين فيه العلوم المحمودة والمذمومة

« اعلم أن الفرض لايتميز عن غيره الا بذكر العلوم . والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة

فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى

ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس فريضة »

« وأما فرض الكفاية فهو مالا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين . فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك (١) فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء (٢) وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله

« وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه

« وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات

« وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه » اه

أقول لا يظهر وجه ما قاله في الاشعار والتواريخ الا فيمن يقرأها لمحض التسلي والتفكه فأما قراءة الاشعار لاجل معرفة اللغة مفرداتها وأساليبها واكتساب ملكة البلاغة وتمييز الصحيح والفصيح من غيره فهو على قاعدته من فروض الكفاية بل ربما يستنبط من كلام له في كتاب إلجام العوام عن علم الكلام ان معرفة اللغة العربية فرض عين على كل مسلم بحيث يفهم الكلام البليغ ويميز بين الحقيقة والمجاز والكناية فانه قال هنالك

(١) كان هذا المثال مطابقا للحكم في زمنه اذ كان الاطباء لا يعرفون علاجا لتبيغ الدم في بعض الاحوال الا الحجامة أو الفصد وكان يتولى ذلك الحجامون

(٢) هذا المعنى رواه البخاري مرفوعا بلفظ « ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء » ورواه غيره ولفظ ابن ماجه « الا أنزل له الدواء » وعند مسلم « فان أصيب دواء الداء برىء باذن الله »

إن ماورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله لايجوز أن يؤخذ بالترجمة فان غير العربية لاتؤدي مايؤديه القول الوارد فيها على وجهه في كل صفة من تلك الصفات وضرب لذلك الامثال

وأما تواريخ الاخبار — ولعله يعني بها مايقابل تواريخ المحدثين — فقد كانت في زمنه قليلة الفائدة وهي في هذا العصر مادة السياسة التي قال بأنها فريضة وينبوع العلوم الاجتماعية التي تشرح لنا سنن الله تعالى في الامم وهو يعد العلم بسنن الله تعالى في خلقه كالعلم بصفات الله وكماله أعلى العلوم الدينية كما سيأتي عنه فلو كان في هذا العصر لقال في الشعر والتاريخ قولا مفصلا على نحو ماقلنا

﴿ رأيه في علوم الفلسفة ﴾

ثم تكلم عن العلوم الشرعية وأورد على نفسه هذا السؤال « فان قلت لم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان » وأجاب عن علم الكلام بما سنذكره في الكلام عن العلوم الدينية وان كان لا يعده منها وعن الفلسفة بما يأتي

« وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه أن يتجاوزهما الى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لها قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم

« و (الثاني) المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه وهما داخلان في علم الكلام .

« و (الثالث) الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة

«و (الرابع) الطبيعيات و بعضها مخالف الشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم و بعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض و يصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها » اه

وقد أوسع المجال لذلك في كتابه المنقذ من الضلال فقال :

﴿ فصل في أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شيء منها بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هي أمور برهانية لاسبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آفتان (الاولى) من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح و وثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ماتناولته الالسن فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم يستدل على ان الحق هو الجحد والانكار للدين وكم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه واذا قيل له الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها البراعة والسبق وان كان الحمق والجهل قد يلزمهم في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لايعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذي اتخذ (كذا) بالتقليد

لم يقع منه موقع القبول بل تحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب التكايس على ان يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بأمر الدين لكن لما كانت من مبادي علومهم يسري اليه شرهم وشؤمهم فقل من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

(الآفة الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع فيزداد للفلسفة حبا وللاسلام بغضاً ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية وقوله عليه السلام «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة» ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بمسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص وأما قوله «لكن الله اذا تجلى لشيء خضع له» فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلا فهذا حكم الرياضيات وآفتها

(وأما المنطقيات) فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا واثباتا بل هو النظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (ا) (ب) لزم ان بعض (ب) (ا) أي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية. وأي تعلق

لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا أنكر لم يحصل من انكاره عند أهل المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الانكار. نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم انها تورث اليقين لامحالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراه واضحاً فيظن ان ماينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة أيضاً متطرقة اليه

(وأما علم الطبيعيات) فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الانسان وأعضائه الرئيسة والخادمة وأسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين انكار ذلك العلم الا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب المخالفة فيه فعند التأمل يتبين انها مندرجة تحتها وأصل جملتها ان يعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لاتعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته

(وأما الالهيات) ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب ارسطاطاليس مذهبه فيها من مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت. أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم ان الاجساد لاتحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لاجسمانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية فانها كائنة أيضاً ولكن كذبوا في انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى

بعلم الكليات دون الجزئيات فهو أيضاً كفر صريح بل الحق انه (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين الى شيء من هذه المسائل وأما ماوراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم انه عليم بالذات لا بعلم زائد على الذات وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين فيه فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه

(وأما السياسيات) فمجموع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحة المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة من سلف الاولياء

(وأما الخلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألهين لا يخلي الله العالم عنهم فانهم أوتاد الارض ببركتهم تنزل الرحمة الى أهل الارض» اهـ المراد منه

أقول هذا آخر ما استقر عليه رأي الامام أبي حامد في هذه العلوم لأن هذا الكتاب من آخر ما كتب. ومنه يعلم أنه لا ينكر من علومهم شيئاً يعده مخالفاً للدين الا مسائل معدودة من الفلسفة الالهية وانا نزيد المسألة بياناً بايراد ما كتبه قبل ذلك في مقدمة كتابه تهافت الفلاسفة قال:

«أما بعد فاني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الاتراب والنظراء، بمزيد الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الاسلام والعبادات، واستحقروا شعائر الدين ووظائف الصلوات، والتوقي عن المحظورات، واستهانوا بتعبدات الشرع

وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده ، بل خلعوا بالكلية ربقة الدين، بفنون من الظنون، يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ، ولا مستند لكفرهم غير سماع الغي كتقليد النصارى واليهود اذجرى على غير دين الاسلام نشوءهم وولادهم ، وعليه درج أباؤهم وأجدادهم ، ولا عن بحث نظري صادر عن التعثر بأذيال الشبه الصارفة عن صوب الصواب، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب، كما اتفق لطوائف من النظار في البحث عن العقائد والآراء ، من أهل البدع والاهواء ، وانما مصدر كفرهم سماعهم أسامي هائلة كسقراط و بقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وأمثالهم، وإطناب طوائف متبعيهم وضلالهم ، في وصف عقولهم، وحسن أصولهم ، ودقة علومهم الهندسية ، والمنطقية والطبيعية والالهية ، واستبدادهم بفرط الذكاء والفطنة ، واستخراج تلك الامور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم ، منكرون الشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الاديان والملل ، و يعتقدون أنها نواميس مؤلفة ، وحيل مزخرفة ، فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكي لهم من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تحيزا الى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخراطا في سلكهم، وترفعا عن مساعدة الجماهير والدهماء ، واستنكافا من القناعة باديان الاباء، ظنا بأن اظهار التكايس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال الى تقليد عن تقليد خرق وخبال ، فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليدا، بالتسارع الى قبول الباطل دون أن يقبله خبرا وتحقيقا ، والبله من العوام بمعزل عن فضيحة هذه المهواة ، فليس في سجيتهم حب التكايس بالتشبه بذوي الضلالات ، والبلاهة أدنى الى الخلاص من فطانة بتراء ، والعمى أقرب الى السلامة من بصيرة حولاء

فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضا على هؤلاء الاغبياء ، ابتدأت بتحرير هذا الكتاب ردا على الفلاسفة القدماء ، مبينا تهافت عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء ، وعبرة عند الأذكياء ، أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء

من فنون العقائد والآراء ، هذا مع حكاية مذهبهم على وجهه ليتبين لهؤلاء الملحدة تقليداً اتفاق كل مرموق من الاوائل والاواخر ، على الايمان بالله واليوم الآخر ، وان الاختلافات راجعة الى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين اللذين لاجلهما بعث الأنبياء المؤيدون بالمعجزات ، وانه لم يذهب الى انكارهما الا شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة ، والآراء المعكوسة ، الذين لا يؤبه لهم ، ولا يعبأ بهم فيما بين النظار ، ولا يعدون الا في زمرة الشياطين الاشرار ، وغمار الاغبياء والأغمار ، ليكف عن غلوائه ، من يظن أن التجمل بالكفر تقليدا يدل على حسن رأيه ، أو يشعر بفطنته وذكائه ، اذ يتحقق أن هؤلاء الذين تشبه بهم من زعماء الفلاسفة ورؤسائهم ، براء عما قذفوا به من جحد الشرائع ، وانهم مؤمنون بالله ، ومصدقون لرسله ، ولكنهم اختبطوا في تفاصيل بعد هذه الاصول ، قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، ونحن نكشف عن فنون ما اعتقدوه من التخاييل والأباطيل ، ونبين أن ذلك تهويل ما وراءه تحصيل ، والله تعالى ولي التوفيق ، لاظهار ما قصدناه من التحقيق ، ولنصدر الآن الكتاب بمقدمات تعرب عن منهاج الكلام في الكتاب

﴿ مقدمة ﴾

ليعلم ان الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل ، فان خبطهم طويل ، ونزاعهم كثير ، وآراؤهم منتشرة ، وطرقهم متباعدة متدابرة ، فلنقتصر على اظهار التناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق ، والمعلم الاول ، فانه رتب علومهم وهذبها بزعمهم ، وحذف الحشو من آرائهم ، وانتقى ما هو الاقرب الى أصول أهوائهم ، وهو ارسطاطاليس وقد رد على كل من قبله حتى على أستاذه الملقب عندهم بافلاطون الالهي ثم اعتذر عن مخالفته أستاذه بان قال أفلاطون صديق والحق صديق ولكن الحق أصدق منه (وانما) نقلنا هذه الحكاية عنهم ليعلم انه لا تثبت ولا اتقان لمذهبهم عندهم ، وانهم يحكمون بظن وتخمين ، من غير تحقيق ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية ، بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين ، نقية عن التخمين ، كعلومهم الحسابية والمنطقية ، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسابية ، ثم

المترجمون لكلام ارسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتأويل، حتى آثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة الاسلامية الفارابي أبو نصر وابن سينا . فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجراه واستنكفاه من المتابعة فيه لا يتمارى في اختلاله، ولا يفتقر الى نظر طويل في إبطاله، فليعلم انا مقتصرون على رد مذاهبهم بحسب نقل هذين الرجلين كيلا ينتشر الكلام بحسب انتشار المذاهب

(مقدمة ثانية)

ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق على ثلاثة أقسام

(قسم) يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم تعالى عن قولهم جواهر مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقوم ذاته ولم يريدوا بالجوهر المتحيز على ما أراده خصومهم ولسنا نخوض في ابطال هذا لأن معنى القائم بالنفس اذا صار متفقاً عليه رجع الكلام في التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى الى البحث عن اللغة والعرف لا يسمونه جوهراً وان سوغت اللغة اطلاقه. رجع جواز اطلاقه في الشرع الى المباحث الفقهية فان تحريم اطلاق الاسامي واباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع. ولعلك تقول هذا انما ذكره المتكلمون في الصفات ولم يورده الفقهاء في فن الفقه فلا ينبغي أن يلتبس عليك حقائق الامور بالعادات والمراسم فقد عرفت أنه بحث عن جواز التلفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الافعال

(القسم الثاني) مالا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنه نور الشمس وكقولهم إن كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة. وهذا الفن أيضا لسنا نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض. ومن ظن أن

المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لاتبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يستريب في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل

(فان قيل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة» فكيف يلائم هذا ماقالوه (قلنا) وليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الانفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا

(فان قيل) فقد روي انه قال في آخر الحديث «ولكن الله اذا تجلى لشيء خضع له» فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي

(قلنا) هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروي ماذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالادلة القطعية التي لا تنتهي في الوضوح الى هذا الحد وأعظم مايفرح به الملحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مثمنا أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله فقط كيفما كانت

(القسم الثالث) ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان وقد أنكروا جميع

ذلك فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ماعداه (مقدمة ثالثة) ليعلم أن المقصود تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة فظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ببيان وجوه تهافتهم فلذلك أنا لا أدخل في الاعتراض عليهم الا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فابطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعا به بالزامات مختلفة فألزمهم تارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا مذهب الواقفية ولا أنتهض ذابا عن مذهب مخصوص بل أجعل جميع الفرق إلبا واحدا عليهم فان سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل. وهؤلاء يتعرضون لاصول الدين فلنتظاهر عليهم فعند الشدائد تذهب الاحقاد»   (الكلام بقية)





المؤتمر الاسلامي

نشرنا في هذا الجزء خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي اقترح فيها على مسلمي مصر الدعوة الى مؤتمر إسلامي

جاء الرجل مصر لهذا الغرض فبدأ بزيارة أصحاب الجرائد اليومية وكاشف المسلمين منهم بما جاء لأجله فوعده صاحب جريدة المؤيد منهم بالمساعدة ودعو الناس الى سماع خطبته التي أعدها لذلك. وقد طبع أوراقا للدعوة ووزعها على نحو ٦٠٠ ممن اختار من الوجهاء والفضلاء وكان موعدهم ليلة السبت لخمس بقين من رمضان فأجاب الدعوة كثيرون وحضر كثيرون لم يدعوا فازدحموا على باب فندق الكونتنتال وتعذر تقديم المدعوين على غيرهم فكان السابق هو المقدم كأن كل واحد منهم كان يرى أن الداعي والمدعوين وغيرهم من المسلمين سواء في حضور هذا الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال المسلمين كافة

كان عدد المجتمعين زهاء ثلاث مئة رجل فقرئت عليهم الخطبة التركية ثم ترجمتها العربية وبعد ذلك قام صاحب المؤيد فذكر بعد تمهيد وجيز — في كون فكرة المؤتمر ناضجة قد استعدت لها النفوس — أسماء طائفة من شيوخ الأزهر ووجهاء العاصمة قال انهم أذنوا له بأن يذكر عنهم انهم أجابوا الدعوة وهم الأساتذة المشهورون الشيخ سليم البشري والشيخ محمد توفيق البكري والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين العدوي والشيخ حسن والي والباشوات حسين واصف واسماعيل أباظه والدكتور حسن وصفي وعلي شعراوي والدكتور علوي وموسى غالب ، والبكوات أحمد تيمور وعبد العزيز فهمي المحامي ورفيق العظم وطلعت حرب وحقي العظم وابراهيم الهلباوي المحامي واحمد زكي ويوسف صديق وعمر لطفي المحامي ومحمد فريد وعلي بهجت واسماعيل رأفت وحسن بكري المقاول ومحمد أحمد الشريف ثم ذكر من الصحافيين [illegible] وحافظ أفندي عوض . وقد علمنا أنه كان كلم أكثر الشيوخ والباشوات من هؤلاء قبل ليلة الاحتفال ودعاهم الى ذلك دعوة خاصة فرضوا وأذنوا له بذكر أسمائهم . وقد انتقد بعض الناس هذا وقالوا انه عبارة عن إجابة الدعوة قبل معرفة ما فيها وظنوا أنه لا يخلو من تواطؤ خاص

ثم أشيع في البلد أن وراء الستار إرادة تدير أمر المؤتمر وتصرف كبراء المشتغلين به في عملهم ورأيت غير واحد ممن ذكرنا أسماءهم آنفا يظن هذا في بعضهم . واقترح بعض الوجهاء على صاحب المؤيد أن يدعو كثيرا من الفضلاء الى حضور أول اجتماع يعقده للبحث في المؤتمر فدعا بعض من سمي له وأفرادا من غيرهم الى الاجتماع في دار الشيخ البكري في الساعة التاسعة من ليلة ٩ شوال فأجاب الدعوة زهاء خمسين رجلا

اجتمعوا في ردهة الدار وكان صاحب المؤيد قد دعا من حضر ممن ذكر أسماءهم من قبل وسماهم اللجنة التحضيرية الى مخدع بجانب الردهة يأتمرون ويختصمون في اقتراح عرضه عليهم وهو أن يخرج من اللجنة أناس منهم بعد اختيار من يرضاه ويرضونه ليكون مكانهم فلم يتفقوا على ذلك اذ رأى بعضهم انه لاحق لهم ان يستبدوا بالعمل هم ومن يختارون

ولما طال الانتظار ومل الحضار ظهر الغضب على بعض الحاضرين وقال بصوت جهوري ما معنى لأن ندعى الى مشروع عام ويتركنا الداعي ويخلو بنفر من دوننا في مخدع يأتمرون بينهم سرا ؟ ماهذا الا إهانة وعمل غير معقول: فرأى من القوم إرتياحا لقوله وموافقة له عليه وصاروا يتناجون بينهم : إن البكري وصاحب المؤيد قد استبدا بالمشروع لأمر ما ويريدان أن يختار المؤتمر من يرضيان ليتم ذلك الأمر

وكان ذلك الناضب قد دس على النفر المؤتمرين في مخدعهم واعاد عليهم ما قال آنفا فخرجوا وقام فيهم صاحب المؤيد فقال انه قد شاع بين الناس ان ارادة خاصة تدبر أمر مشروع المؤتمر وهذا غير صحيح وانما خلونا لنتذاكر فيما نعرضه عليكم وهوانا رأينا من مصلحة المشروع أن أخرج أنا وحافظ أفندي عوض منه وحسن باشا رفقي واسماعيل باشا أباظه وفلان وفلان فالمرجو منكم ان تنتخبوا بدلهم من الحاضرين لاتمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر: أو ما هذه خلاصته فبرأ نفسه بخروجه مما ظن فيه الظانون

فقام كاتب هذه السطور وقال ان بقية من سموهم اللجنة التحضيرية لم يُنتخبوا بالفعل أن ينتخب جميع الاعضاء انتخابا ... فقال صاحب المؤيد والسيد البكري ان بيّنا عدم الحاجة الى جعل أحد ممن ذكرت أسماؤهم ليلة الاحتفال بالحفلة موضعا للانتخاب لأنهم ذكروا أمام مقترح المؤتمر وجمهور من حضر خطبته ولم يعارض في أحد منهم أحد ؛ والسيد البكري سمى ذلك انتخابا وقال صاحب المؤيد واننا نعرض أسماءهم الآن على الحاضرين ونأخذ رأيهم فيهم . فقال كاتب هذه السطور انه ما كان لأحد ان يطعن في كفاءة أحد في وجهه ولا على مسمع الملأ ولذلك اتفقت الامم كلها جعل الانتخاب في مثل هذا الأمر سريا فنحن نجل ونحترم كل واحد من أولئك المذكورين ولكننا ربما نرى أناسا آخرين أولى بهذا العمل من بعضهم فكل واحد ينتخب سراً من يعتقد كفاءته لهذا الامر مع حفظ كرامة الآخرين . وأما ذكر صاحب المؤيد أسماءهم ليلة الاحتفال وسكوت السامعين فلا يسمى انتخابا اذ لم يخطر في بال أحد من السامعين ان تلك الاسماء ذكرت لأخذ رأيه فيها ولا ان له الحق في جرح أحد ممن ذكر

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد — وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه — الا ويجزم بأنه لو كان فينا عشرون رجلا مثله في صفاته وأعماله لنهضوا بنا نهضة لاتخطر في بال الذين يقولون مالا يفعلون ولكانوا حجة لنا على الاجانب لايكابر أحد في دحضها ، ولكن يوجد في البلاد مئات أو ألوف يستطيعون أن يقولوا بألسنتهم وأقلامهم مايشتهر بمثله المرء بين العامة قضت عليهم حال المعيشة بأن يكون كسبهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي تحلى بها هذا الرجل استقلال الفكر والرأي فقد كان لايقلد أحدا في رأيه وانما ينظر في الأمر ويطيل فيه الفكر والتدبر حتى يظهر له الصواب وانا نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطفولية وهم لا يشعرون بذلك لأنهم يظنون أنهم مستقلون فيما قبلوه بادي الرأي ولا محل هنا لكشف التلبيس في ذلك

(استقلال الارادة) كان رحمه الله تعالى مستقل الارادة قوي العزيمة أعني أنه كان يعمل دائما مايعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده وان كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر ، وهذا الخلق فينا أضعف من سابقه ولو كان عندنا كثير من الحكام والعاملين الذين يعملون بما يعتقدون انه الخير والمصلحة للبلاد لكنا من أرقى الشعوب فان فينا عددا كثيرا من العارفين بما يجب ولكنهم ضعفاء العزائم فلا يعملون بما يعلمون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالجبل الراسخ في ثباته على رأيه وعمله واستقامته في سيرته وهذا كان تابعا في استقلاله وقوة ارادته فان العزيمة تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت وللرجل القلب فان الامعة الذي ليس له رأي مستقر قد يكون ضعيفا في العمل بالرأي قبل أن يتحول عنه وقد يكون قويا، وكان رحمه الله لا يشكو من شيء شكواه من التقلب والتحول في الناس فقد اقترحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة مما يكون بالاجتماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك حسن الظن في الأمة

رزئة مصر بحسن باشا عاصم

رزئت مصر في ثالث شوّال برجل الجدّ والعمل والثبات والاستقامة والعدل والنظام خادم الأمة المخلص نابغة النوابغ نادرة العصر يتيمة المصامين العصماء حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاءنا وعزاء البلاد عنه . وانّا نكتب في شأنه كلمات لانقصد بها مجرد الرثاء والتأبين ، ولامحض الترجمة والتاريخ، بل العبرة والموعظة للأمة،عسى ان يكون فيها الاهل الاستعداد حسن الاسوة،

من هو حسن باشا عاصم الذي يحليه المنار بهذه الألقاب والنعوت مخالفاً عادته في ذكر الناس بأسمائهم ؟ من هو حسن باشا عاصم الذي يؤبنه المنار وقد مات كثير من الأمراء والباشوات وكذا العلماء ولم يذكر خبر موتهم ولا عزى البلاد عنهم ؟

كان حسن عاصم رجلا من الرجال الذين تنهض بأمثالهم الأمم اذا كثروا فيها ولو كثر أمثاله في مصر لاذعنت لحكمنا أن المصريين قادرون على أن يحكموا أنفسهم كالأمم الأوربية فقد كان اذاً روحاً من أرواح الحياة القومية، وركنا من أركان النهضة المدنية، وان كان أكثر مما كانت تجهله العامة، وقلما تهتف به ألسنة الخاصة،

كان ربما يزور هذه البلاد السائح المؤرخ فيقرأ جرائدها، ويغشى أنديتها ومعاهدها، ويتحدث مع الخواص والعوام، والمحكومين والحكام، فيسمع ويقرأ أخبار الأحزاب ومؤسسيها، والتحزب لها أوعليها، والمحاورات في التفاضل بين أفراد، يقال انهم هم الذين ينهضون بالبلاد، ولا يسمع لحسن باشا عاصم في هذه المواضع ذكرا، ولا يقرأ عنه في هذه الصحف خبرا، فكيف كان لحياة البلاد روحا مدبرا، ولنهضتها ركنا مشيدا، والأمة في مجموعها غافلة عنه، جاهلة بحاله، ويتنازع زعامة النهضة فيها زيد وعمرو، وخالد وبكر، ؟

الجواب من هذا ان الرجل كان فعالا، ولم يكن قوّالا، وأمتنا في مثل هذا الطور تشغلها الأقوال، وتغرها الدعاوى العراض الطوال، ورب قوول كبير الدعوى، قدير على التغرير، لو كثر أمثاله في الأمة مازادوها الارهقا، ولكن

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد — وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه — الا ويجزم بأنه لو كان فينا عشرون رجلا مثله في صفاته وأعماله لنهضوا بنا نهضة لاتخطر في بال الذين يقولون مالا يفعلون ولكانوا حجة لنا على الاجانب لايكابر أحد في دحضها . ولكن يوجد في البلاد مئات أو ألوف يستطيعون أن يقولوا بألسنتهم وأقلامهم مايشتهر بمثله المرء بين العامة قضت عليهم حال المعيشة بأن يكون كسبهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي تحلى بها هذا الرجل استقلال الفكر والرأي فقد كان لايقلد أحدا في رأيه وانما ينظر في الأمر ويطيل فيه الفكر والتدبر حتى يظهر له الصواب وانا نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطفولية وهم لا يشعرون بذلك لأنهم يظنون أنهم مستقلون فيما قيل لهم بادي الرأي ولا عمل لهم لكشف التلبيس في ذلك

(استقلال الارادة) كان رحمه الله تعالى مستقل الارادة قوي العزيمة أعني أنه كان يعمل دائما مايعتقد أنه الصواب والخير وأنه الموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده وان كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر . وهذا الخلق فينا أضعف من سابقه ولو كان عندنا كثير من الحكام والعاملين الذين يعملون بما يعتقدون أنه الخير والمصلحة للبلاد لكنا من أرقى الشعوب فان فينا عددا كثيرا من العارفين بما يجب ولكنهم ضعفاء العزائم فلا يعملون بما يعلمون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالجبل الراسخ في ثباته على رأيه وعمله واستقامته في سيرته وبهذا كان تاما في استقلاله وقوة ارادته . فان العزيمة تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت وللرجل القلب فان الامعة الذي ليس له رأي مستقر قد يكون ضعيفا في العمل بالرأي قبل أن يتحول عنه وقد يكون قويا . وكان رحمه الله لايشكو من شيء شكواه من التقلب والتحول في الناس فقد اقترحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة مما يكون بالاجتماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك تحسن الظن في الأمة

أ كثرها يجب لأنك لم تختبرها ؛ وقال لي مرة أو غير مرة ما معناه اننا اذا دعونا الى هذا العمل نجد المجيبين اليه كثيرين في أول الأمر ثم ينسلون لو اذا حتى لا يبقى منهم من يمكن أن يستمر به العمل

(الصبر والاحتمال) كان على نحافة بدنه آية في الصبر على العمل واحتمال المشقة لا يمل ولا يسأم ولولا الصبر والاحتمال ما كان ثبات ولا استقامة . كان في كل عمل دخل فيه يعمل ما لا يعمله عدة رجال حتى كان يمل ويمل كل من يشتغل معه لا سيما اذا كان هو رئيسه ولكنه لا يستطيع أن يشكو من كثرة العمل مع من يراه يعمل أضعاف عمله . وقد كان يشتغل اخيرا في أربعة ادارات كبيرة في كل يوم فيعجب كل عمالها من صبره وجلده — وهي ادارة القصر العالي وإدارة تركة الأمير محمد ابراهيم وادارة الجمعية الخيرية ومدارسها وادارة الشركة الانكليزية المصرية — هذا وهو غير مهمل لادارة منزله بل يقيم لها على أكمل نظام

(النظام والاتقان) كان عاشقاً للنظام كلفاً باتقان كل أمر يشتغل به . فكان كل عمله مرتباً منظماً متقناً حتى قال لي محمد باشا يكاد انه خلق منظماً بالطبع . ومن يخطر بباله أن صاحب تلك الأعمال الكثيرة كان يشتغل ساعات من ليله ونهاره ويشغل معه فيها بعض أصحابه في البحث عن صحة كلمة أو عبارة فيما يطبعه لمدارس الجمعية الخيرية أو لشركة إحياء العلوم العربية ؟ خطر له أن يطبع أجزاء القرآن الكريم لأجل التعليم في مدارس الجمعية بحسب قواعد الرسم لا برسم المصحف المتبع عن الصحابة عليهم الرضوان فبدأ أولا بالبحث عن جواز ذلك واستفتى فيه الاستاذ الامام فأفتاه ووجد نصا عن الامام مالك بجوازه في مصاحف التعليم ثم كان يستنسخ الأجزاء ويبحث بنفسه مع أهل العلم في الكلم الذي يشتبه في رسمه ككلمة (الضحى) تكتب ألفها بصورة الياء أم ملساء والكلمات التي في آخرها ياء تحذف في قراءة حفص لاجل الوقف . فكنا نسهر معه الليالي ذوات العدد نتباحث في هذه الكلمات . ثم ناط ضبط ذلك كله وتصحيح الاصل بالشيخ حسين والي مؤلف كتاب الإملاء ليطبقه على قواعد الرسم بعد مراجعة كتب القراآت لكي لا يخرج الرسم عن أداء المتواتر منها ثم انه كان يراجع

بنفسه كل مايصححه الشيخ حسين

وقد عزم منذ أكثر من ستتين على طبع كتاب العمدة في الادب لابن رشيق بنفقة جمعية إحياء العلوم العربية فلما أرسلت اليه المطبعة الاميرية نموذج الملزمة الاولى بعد تصحيح مصححيها لها ومراجعتها مقابلة على النسخ قرأها فتوقف في فهم بعض عباراتها والاحاديث وأبيات من الشعر فيها فراجع كاتب هذه السطور في ذلك في مكتب المنار غير مرة كنا نراجع فيه الأحاديث في كتبها والاشعار في مظانها من كتب الأدب واشترى هو ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأن فيها شيئاً من شعره وراجع أيضاً غير واحد من أصحابه أهل العلم والأدب. وبعد هذا كله لم يأذن بالطبع لأنه بقي في الملزمة عبارة غامضة يرجح انها محرفة وطفق يسأل ويبحث عن نسخة أخرى من العمدة ليجلبها أو يستنسخها من القطر الذي يعلم أنها فيه . وأبى عليه خلق الاتقان وامانة العلم ان يطبعها وهو يعتقد أن فيها تحريفا فتبارك من أنعم عليه بهذه الاخلاق ، ويا ليت الذين يتجرون بطبع الكتب الدينية والعلمية وغيرها يعنون بمثل هذه العناية بالضبط والاتقان

(الجد والرصانة) كنا نرى كثيرا من الناس ينتقدون منه رصانته وجده في كل وقت وحال وتجنبه الهزل والمجانة وتحاميه المزاح والمفاكهة في الحديث الا قليلا وهذا هو الواجب على من يريد أن يخدم شعبا يعتقد أنه يكثر فيه الطيش والخفة ويغلب على أكثر أفراده الهزل واللهو واللعب في زمن يزاحمه فيه أهل الجد والعمل من الشعوب الأخرى على بلاده وينازعونه جميع مقومات حياته ولولا هذا لان الانتقاد لاقدر على كل ما عمل . ولكننا لا ننكر مع هذا ان استغراق جميع الاوقات في الجد والتزام الرصانة في جميع الأحوال من المبالغة المنتقدة في الفضيلة ولكن لا يقبل انتقادها الا ممن يصرف أكثر أوقاته في الجد ويفرغ في أقلها للاهل والصحب يفاكههم ويمازحهم وينبسط اليهم في الحديث وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً

(الاقتصاد والوفاء) اشتهر فقيدنا المبكي بأمين الفضلاء بالمبالغة في الاقتصاد حتى كان بعض الناس يظن فيه البخل والتقتير وهو لم يكن بخيلا ولا مقترا في النفقة بل كان في الانفاق على ما أمر الله تعالى في قوله (٦٥:٧ لينفق ذو سعة من سعته

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه) كان يكتب لنفسه ميزانية السنة قبل دخولها فيجعل الخرج غير مستغرق للدخل كله ويحصي كل أنواع النفقات ويضيف اليها مبلغا احتياطيا ثم يؤدي كل شيء في وقته فكان يدفع اشتراكات الصحف العربية والافرنجية في أواخر شهر دسمبر من كل سنة واشتراك الجمعية الخيرية في غرة المحرم فيأخذ أول وصل ماوصولات التحصيل وأجور الخدم في أول يوم من كل شهر وثمن كل شيء يشتريه في وقته . ولولا هذا الاقتصاد لما قدر على الوفاء الكامل في المعاملة بأداء كل حق في وقته ولا على الاستغناء عن الاقتراض والاستدانة بالربا

نعم ان اقتصاده المبني على قواعد العلم الحديث والتزامه النظام فيه ومن كل عمل كان يستلزم مخالفة أهل البلاد في بعض الامور مخالفة يستنكرونها فيسمونها بغير اسمها . فمن ذلك أنه كان اذا دعا الى طعامه نفرا من أصحابه وزاره عند وقت الطعام أو قبيله صاحب اخر فانه لا يدعوه معهم بل كان بعض أصدقائه ربما يتعمد أن يقول : بلغني أن فلانا وفلانا سيأكلان العشاء عندك وأحب أن أكون معهم : ليجيبه بجربته [illegible] في هذه الهيئة : وذلك أنه رحمه الله تعالى كان يهيء الطعام على قدر حاجة الآكلين المعلومين بلا تقتير ولا تبذير . وكيف يوصف بالتقتير من كان خدمه يأكلون من جميع ما يأكل منه أهل البيت وضيوفهم من الالوان والحلوى حتى الفاكهة في الشتاء

و بلغ من اقتصاده في مال الجمعية الخيرية أنه كان لا يرمي ورقة مكتوبة من الاوراق التي لم تبق من حاجة اليها الا بعد أن يقص منها ماعدا المكتوب ان كان ينتفع به بإمكان كتابة شيء عليه . ووقع لي معه دقيقة من هذه الدقائق أذكرها مثالا وهي أنني جئت مرة قصر عابدين أبغي لقاءه الا ميرو كان هو رئيس التشريفات فأرسلت اليه بطاقة الزيارة للاستئذان ولما هممت بالخروج من حجرته قال لي خذ هذه البطاقة — وكانت لا تزال في يده — فانها أدت وظيفتها الآن ويمكن أن تؤديها مرة أخرى : فقلت له ذكرتني هذه الدقة في الاقتصاد كلمة للامام الغزالي وهي أن الميزان الذي لا يرجح بالحبة لا يرجح بالقنطار لأن القنطار مؤلف من الحب

فاذا أتى في الميزان حبة بعد حبة لم يكن الرجحان الابحبة ، فأعجبه هذا القول وكان يتمثل به

ومن الناس من يهزأ بهذه الدقائق و يعدها من الصغائر التي لا تنبغي لأهل النفوس العالية ، وهذا خطأ وجهل يزينه لصاحبه الاسراف والخرق واعتياد الخلل والحرمان من النظام فان الكاتب (الخطاط) الذي لا يعنى بكل حرف من الكلمة لا يكون مجموع خطه كامل الحسن، والبناء الذي لا يعنى بضبط كل حجر ينحته لا يكون بناؤه رصينا محكما، والمصور الذي لا يدقق في إحكام تصوير كل عضو لا تأتي صوره مطابقة لما صوره ـ وهكذا يضيع المال الكثير في غير فائدة من يفرط في حفظ القليل بوضعه في غير موضعه

ان كثيرا من المسرفين الذين يسميهم الحق أسخياء وأجوادا يمطلون أصحاب الحقوق ويلوونهم وهم واجدون مايفون به ولا يكادون يبذلون شيئا في سبيل الله واذا خرج منهم الحق لا يخرج الا نكدا ولكنهم يرون الناس اضاعة المال في أمور لا يحمد فاعلها عند العقلاء ولا يؤجر عند الله ـ بل ان الذين يضيعون ماورثوا من الثروة الواسعة أو غير الواسعة فيعبثون في المال الموروث ويقعون في الفقر المدقع ، وما أكثرهم في هذه البلاد ولكن أكثر الناس لا يعتبرون

قال الفقهاء يكره في الوضوء ان يغسل المتوضئ العضو أكثر من ثلاث مرات لان ذلك من الاسراف ولو كان يتوضأ من البحر الا ان يكون له حاجة أخرى في الزيادة كالتبرد ولكن لا ينوي بها العبادة وقالوا ان حكمة الشرع في ذلك هي أن تتعلم الامة الاقتصاد في الامور كلها فلا تفرط في شيء وتضيعه في غير منفعة وان لم يكن في اضاعته ضرر

أي ضرر يتصور أن يصيب الأمة لو جرى جميع أفرادها على طريق حسن باشا عاصم في الاقتصاد . لا يضيعون شيئا بوضعه في غير موضعه ولا يؤخرون حقا عن مستحقه ويجتهدون في السبق الى مساعدة الجمعيات الخيرية؟ أما والله ان أمة يكثر فيها أهل هذا الخلق لجديرة بأن تكون أسعد الامم (للترجمة بقية)

(يصدر هذا الجزء من المنار في سلخ شوال وهو شهر سلخ رمضان)

﴿ الاحتفال بالعقد الاول من عمر المنار ﴾

أنشئ المنار في سنة ١٣١٥ وصدر العدد الأول منه في مساء اليوم ٢٢ من شهر شوال من تلك السنة ثم زحزحنا أول سنته الى غرة ذي القعدة ثم الى أول المحرم فصارت السنة الهجرية هي سنة المنار الحسابية منذ سنته الخامسة أي سنة ١٣٢٠

وفي أوائل هذه السنة وهي العاشرة خطر لاسماعيل بك عاصم الخطيب والمحامي الشهير أن يقيم في داره احتفالا ينوه فيه ببلوغ المنار هذه السن من عمره ولكن عرض له سفر قضى بإرجاء ذلك وعاد الى مصر قبيل شهر رمضان وذاكرني في ذلك فأخبرته بتاريخ انشاء المنار فسر بذلك وعزم على أن يجعل الدعوة الى الاحتفال في مثل اليوم الذي صدر فيه أول عدد منه وهو ٢٢ شوال فوزع رقاع الدعوة على أصحاب المجلات الشهيرة في مصر ومحرريها ليجتمعوا مساء ذلك اليوم في داره بالعباسية ويكون الاحتفال في ليلة ٢٣ وهي أول ليلة ظهر في مثلها المنار وكذلك كان

للمنار في مصر نصراء كثيرون من علية القوم ومنهم من يقدر على مالا يقدر عليه اسماعيل بك عاصم من خدمة الاصلاح بالدعوة اليه والعون على زيادة انتشاره ولكن اسماعيل بك عاصم ابتكر هذا النوع من الاصلاح لا بسانحة عرضت أو فكرة سنحت كما ظن بعض من لا يعرف كنه الرجل بل أرشدته الى ذلك فطرته وهدته اليه ملكة راسخة فيه هي حب الاجتماعات العلمية والادبية ونشر الآراء والحكم النافعة فكم سبق له من تأليف الجمعيات ومن مساعدة المؤلفين لها بالمال والقال على قدر الحال كما أخبرني الثقة وشاهدت في جمعية مكارم الاخلاق . ويدخل في هذا الباب مساعدته لفن التشخيص أو التمثيل بتأليف القصص وإبداعها ما يراه مناسبا لاهل البلاد من انتقاد العادات الضارة والترغيب في الآداب النافعة وبالعون على تمثيلها بالمال فقد سمعت الشيخ سلامه مدير دار التمثيل العربي وأشهر الممثلين يقول: انه كان يؤلف الرواية ويعطي (الجوق) مئتين جنيها اعانة له على تمثيلها بمصر، على أن غيره لا يبيع القصة بأقل من هذا الثمن

ذكرت هذا قبل الكلام من كيفية الاحتفال لبيان بعض مزايا المحتفل لمن لا يعرفها من قراء المنار في الشرق والغرب وفي مصر أيضا فانني سمعت كثيرين يقولون

بلهجة الاعجاب والتعجب كيف خطرت لفلان هذه الفكرة يظنون انها سانحة عرضت ، لم تأت عن ملكة ورسخت

اسماعيل بك عاصم يطالع المنار بدقة متتبعاً سير الإصلاح فيه وكثيرا مايذا كرني في مسائل منه يعجب بها فضل إعجاب ومسائل ينتقدها أويرى فيها غموضاً أو إيهاماً فله بخدمة المنار علم تفصيلي وله عنده منزلة خاصة عبر عنها بهذا الاحتفال الذي يحب أن يجعله سنة دائمة فجزاه الله عن عمله وعن نيته خير الجزاء

أجاب الدعوة الى الاحتفال عشرون مدعوا تجمعهم رابطة العلم والأدب اجتماعا لايفرقه الاختلاف في الجنس فان منهم العربي (وهم الأكثر بالطبع) والفارسي كالدكتور محمدمهدي خان صاحب مجلة (حكمت) والتركي كالدكتور جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولا الاختلاف في الوطن فان منهم المصري والسوري وغير ذلك ولا الاختلاف في الدين فان منهم المسلم والنصراني القبطي وغير القبطي واليهودي (وهو نزيه أفندي مراد الحامي محرر مجلة التهذيب الحقيقية الأدبية لطائفة القرائين)

تم اجتماع القوم بعد العشاء الآخرة في الساعة التاسعة مساء وكانوا قد أقبلوا فرادى ومثنى وثبات · وطفقوا يتسامرون بألطف الكلام والبشر يتدفق من وجوههم سرورا بهذا الاحتفال ، الذي ألف بين الآلاف والاشكال ، وصاحب الدعوة كان يقابل كل واحد بالحفاوة والبشر حتى كأن سروره بهم يرجح بسرور مجموعهم · وفي أثناء الساعة الثامنة دعوا الى حجرة المائدة فانتظموا حولها كعقد اللؤلؤ المنظوم ، أو كمنطقة مؤلفة من النجوم ، ولا بدع فهم نجوم الهداية الى الآداب والعلوم ، وقد أعجبوا بذوق صاحب الدعوة ورب الدار ، فيما على المائدة من تنسيق الرياحين والأزهار ، واختيار أنواع الفاكهة والثمار ، مع حسن نظام الدار ، ومايزينها من تألق الأنوار ، فإنه جاب اليها صنوف الفاكهة السورية كالعنب الزيني والزعرور اللبناني وحب الآس وغير ذلك علما منه بأن المحتفل لاجله ونحو نصف المدعوين وهم سوريون يحنون بذلك الى ماألفوا في سن الصبا ، وأن سائر المدعوين يسرون منه بجدة الطريف ، ومازال الانسان يحن الى غير المبذول المعروف ،

مكثيرا نحو ساعة واصف يمزجون أطايب الطعام ، بأطايب الكلام ، ويجمعون بين أحاسن الفاكهة ، وأحاسن المفاكهة ، ثم طافت الغواني على الاكواب ، تمثرها بالماء الغازي (الغازوزه) الممزوج بأحلى الشراب ، فأكلوا هنيئا مريئا ، وشربوا حلالا طيبا ، وبعد الطعام قام صاحب الدعوة خطيبا مرحبا بالقوم ترحيبا ، فألقى الخطبة التي نشرناها في هذا الجزء من المنار ، وزاد عليها نحوها من عقائل الكلام ورقائق الاشعار ،

وههنا أقول إن اسماعيل بك عاصم قد اعتاد ارتجال الخطب ولم يتعود تأليفها وحفظها ثم تلاوتها كما يفعل كثير ممن يدعون الخطابة فضلا عن كتابتها وتلاوتها في الورق . ولكنه في هذه المرة خالف عادته وكتب الخطبة التي نشرناها وطبعها ليوزعها على من يحضر الاحتفال ولكنه غلب عليه ما تعود فألقاها بالمعنى غالبا وزاد فيها ما فتح عليه ارتجالا وكان مما زاده الثناء على هذا العاجز بأكثر مما في الخطبة فأخجلني ذلك جدا

قمت بعد إتمامه ما جاد به لأشكر له ولاخواني الحاضرين فضلهم وأقول شيئا يناسب المقام فورد على سلطان الخجل الذي كان يحكم في وجداني حكما استبداديا لا طاقة لي بمدافعته أن كل ما يمكن أن أقوله من الشكر أو الكلام في الاصلاح والعلم فهو يتضمن الثناء على نفسي وأرتج على أو كاد حتى لم أجد من القول الا الاعتذار عن الشكر بالعجز عنه اذ لم أوت جراءة الخطيب وطلاقته وعن الكلام في المسائل العلمية والادبية بأني أفتح عيني فلا أرى أمامي الا العالم النحرير ، أو الكاتب البارع في التحرير ، أو الفيلسوف المدقق ، أو المؤرخ المحقق ، فاذا عساني أفيد هؤلاء الفحول ، وهم أعلم مني بكل ما يمكن أن أقول ، قلت ولو أنهم في مجتمع عظيم من سائر طبقات الناس لكان يتيسر لي ان أصرف بصري عنهم ، وأخاطب بما يفتح علي غيرهم ، فقبلوا بكرمهم العذر ، وأعجبهم الاعتراف بالعجز ، ولكنهم تواضعهم عدوه من التواضع

ثم قام يعقوب أفندي صروف الدكتور في العلم والفلسفة ومحرر مجلة المقتطف المفيدة فألقى خطابا مفيدا افتتحه بقوله انه عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه الديار كتب الى بعض أهل العلم (وذكر اسمه) كتابا يقول فيه انه قد علمن

الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه حر لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئاً . فلما اطلعت على العــدد الاول والثاني من المنار جزمت برأيي فيه وكتبت بعد ذلك غير مرة وعوان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل الى صاحب المنار وكذا الى المرحوم المفتي (يعني الاستاذ الامام) تنظر النصارى في أوربا الى لوثير وكلفن

ذلك أيها السادة لأن الدين له أعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدنية قامت في العالم الا وكان أساسها الدين . اننا لا نبحث في أصول الاديان لأننا كلنا نعتقد أنها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصدهم عن المدنية أو يسوقهم اليها فقد كان أهل أوربا يفهمون الدين المسيحي فهما حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وأنصاره بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأ لمدنيتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يفهمون الاسلام فهما دفعهم الى المدنية والعلوم ثم انقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يخرجهم من الجهل والمدنية وأن فلانا هو الذي أخذ على نفسه القيام بهذا الاصلاح في مجلة المنار التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا الخطيب الفاضل والمحامي الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحا يسهل سبيل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكيها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد

ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويعدونه خدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لأنهم يعلمون ان الشرق لا دين لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم العنصر الاكبر فيه وأثنى على هذا العاجز المحتفل لاجله وأشار الى ما لقيه من المصاعب وصبره عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرته على العلم وحبه له واكرامه لاهله ،

هذه فحوى ما فاه به الدكتور الحكيم ملخصا وقد كان موضوع الاعجاب والاستحسان كما يليق بما فيه من الابداع والاحسان ، نطق بذلك كل لسان بعد ما نطقت بالتصفيق اليدان ،

ثم قام سيد أفندي محمد صاحب المجلة المدرسية (وناظر المدرسة التحضيرية الكبرى) وارتجل خطبة ضافية الذيول ، متدفقة السيول ، مدح فيها العلم وأهله ، وحمد فيها المحتفل وأطرى المحتفل لأجله ، ومما قاله انه عرف صاحب المنار ، أول مقدمه لهذه الديار، وعلم ان سينشيء صحيفة إصلاحية فيها لذلك كان من المواظبين على قراءة المنار والاستفادة منه منذ ظهر الى الآن . وأنه لم يكن قبل المنار يسمع صوتاً ولا يرى كتابة تنشر في مقاومة البدع والخرافات. ثم ذكر ما لقي المنار من المقاومة والمعاداة وصبر صاحبه على ذلك حتى تم نوره وعم ظهوره وانتشر تطليه وانتفع الناس به وصرح بأن المقاومين له من العلماء وغيرهم قد انتصوا هم أنفسهم به وصاروا يفكرون في حالهم ومآلهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في هذا العصر . وقد بالغ في إطراء هذا العاجز وتحليته بالألقاب التي لا يستحقها اذ لم يكن يشير اليه الا بكلمة « استاذنا » وما يصله بها من النعوت العالية فجزاه الله عن حسن ظنه بأخيه خيراً . وقد أثنى على المحتفل الكريم في فاتحة القول وختامه ، بل في كثير في أجزائه [illegible]

ثم قام توفيق أفندي عزوز صاحب مجلة المفتاح خطيباً وهو من كتاب وخطباء القبط ، أصهار الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ان مجلته قرينة من مجلة المنار في السن فهي في السنة التاسعة من عمرها وأفاض في تفضيل المجلات على الجرائد وأثنى على المحتفل وهنأ المحتفل لأجله

وكان حسن بك حاده صاحب مجلة الأحكام الشرعية قد أعد شيئاً وكتبه ليجعله أصلا لخطبة يلقيها فضاق الوقت باطالة الخطيبين الأخيرين فمنعه كغيره عن الخطابة فأعطاني ما كان كتبه وهو بنصه :

«لو مضت سنة الادب بأن لايهنأ الشخص بسارّ، الا بعبارة تحيط بوصفه، مسبوكة في قالب من البلاغة مساو لبلاغته ، لوجب على حضرة الاخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أن يقوم بتهنئة نفسه ويؤدي هذا الفرض عن هذا العاجز ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل شكر عباده على قصورهم عن أداء واجبه وصاحب المنار خير من تخلق بخلق مولاه فأطلب اليه أن يتقبل

تهنئة هذا الضعيف له على ثبات ارادته ومغالبته لما اعترضه من الصعاب في سبيل عمله الجليل الذي يؤديه للعالم الاسلامي بل العالم الانساني .

اذا قضى واجب الوطنية والتابعية علينا مرة بمشاطرة صاحب المنار الاغر السرور بهذا العيد الادبي فان واجب الدين الذي وقف صاحب المنار نفسه لخدمته، وصرف مواهبه في الذب عن حوضه، يوجب علينا ذلك مرات كثيرة، وقد ضمنا من ورائهما أدب أقناه مقام الوالد .

واني أحس كما يحس كل صادق في خدمة العلم الصحيح ساع في خير الانسانية وبعبارة أجلى كما يحس كل شخص ضمه حاشيتا هذا المحفل الزاهر بأن نجاح صاحب المنار الاغر، وقطعه لهذا العقد من السنوات خطوة واسعة في ارتقاء الآداب، ودرة ثمينة في تاج المجلات التي تصدر في هذا القطر المبارك، بل فخر لحياة المجلات التي تصدر في الشرق أجمع .

واني عن مجلة الاحكام الشرعية أحيي مجلة المنار الاسلامي بدخولها في العقد الثاني من حياتها المباركة، واسأل الله لصاحبها الفاضل النجاح والتوفيق فيما قصد . هذا وليس بعجيب أن يقوم حضرة الاصولي الفاضل اسماعيل عاصم بك الخطيب الشهير بمظاهر هذا العيد فطالما خدم العلم والادب وكانت له اليد الطولى على الجمعيات الادبية في مواطن كثيرة وله منا جميعاً أجمل الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والسلام » اه

وقدم الينا التلميذ النجيب محمود أفندي رمزي التاريخ الآتي فنشرناه شكراً له وتنشيطا

مؤسس عبد المنار على المعارف والسنن الطاهره
دعوت الجهابذة العالمين وأهل المعارف في القاهره
ومن كل شهم اذا ما تحدث ينطق بالدرر الساحره
ليحيى المنار ورب المنار وعاصم والسادة الحاضره
بعيد المنار فأرخ الا يمن العقد بلغ العاشره

٣٢ ١٠٢ ١٣٤ ١٠٣٢ ٦٠٧

وانصرف القوم منتصف الليل حامدين رب الدار، مهنئين داعين باطالة عمر المنار وصاحبه